الكاتبة الحائزة على جائزة نيوبري لأفضل مؤلف جديد

ليندا سو بارك



فتى واحد متشرد


سارق الكتب
مكتبة الفضول

جدول المحتويات

صفحة العنوان
جدول المحتويات
حقوق الطبع والنشر
إخلاص
شكر وتقدير
كتابة منقوشة
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الفصل التاسع
الفصل العاشر
الفصل الحادي عشر
الفصل الثاني عشر
الفصل 13
ملاحظة المؤلف

LINDA SUE PARK

A Single Shard



Clarion Books & New York

جدول المحتويات

صفحة العنوان
جدول المحتويات
حقوق الطبع والنشر
إخلاص
شكر وتقدير
كتابة منقوشة
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الفصل التاسع
الفصل العاشر
الفصل الحادي عشر
الفصل الثاني عشر
الفصل 13
ملاحظة المؤلف

دار نشر كلاريون بوكس، إحدى دور النشر التابعة لشركة هوتون ميفلين، 215 بارك أفينيو ساوث، نيويورك، نيويورك 10003. حقوق الطبع والنشر للنص © لليندا سو بارك 2001

تمت كتابة النص بخط بيركلي القديم بحجم 12 نقطة.
جميع الحقوق محفوظة.
للحصول على معلومات حول الإذن بإعادة إنتاج مقتطفات من هذا الكتاب، يرجى الكتابة إلى قسم التراخيص، شركة هوتون ميفلين، 215 بارك أفينيو ساوث، نيويورك، نيويورك 10003.

www.houghtonmifflinbooks.com
مطبوع في الولايات المتحدة الأمريكية
بيانات الفهرسة في النشر من مكتبة الكونغرس
بارك، ليندا سو. شظية واحدة / بقلم ليندا سو بارك، ص. سم. ملخص: تري-إير، يتيم يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا في كوريا في العصور الوسطى، يعيش تحت جسر في قرية للخزافين، ويتوق إلى تعلم كيفية صنع خزف السيلادون الرقيق بنفسه. ISBN 0-395-97827-0 1. كوريا - خيال. [1. الخزف - خيال.] I. العنوان. PZ7.P22115 Si 2001 [Fic]—dc21 00-043102

QUM 10 9 8 7 6 5 4

إلى دينا، لأنها طلبت كتابًا اخر

أتقدم بالشكر الجزيل للنحات والخزفي بو-وين ليو، الذي قرأ مخطوطة هذا الكتاب وقدم تعليقات قيّمة حول صناعة الخزف السيلادوني. وأي أخطاء متبقية هي مسؤوليتي وحدي.

تُواصل شريكتي في النقد مارشا هايلز ووكيلتي جينجر نولتون تقديم الدعم الحماسي والتقييمات النقدية القيّمة لي، وهو مزيج لا يُقدَّر بثمن بالنسبة للكاتب. وقد جعلت دينا ستيفنسون وفريق دار نشر كلاريون بوكس عملية نشر كل كتاب من كتبي متعة حقيقية.

كل قصة أكتبها هي لشون وأنا. لهم ولجميع أفراد عائلتي، امتنان لا حدود له، وخاصة ودائماً لبن.

قرية صغيرة على الساحل الغربي لكوريا، منتصف إلى أواخر القرن الثاني عشر

إيه، يا شجرة الأذن! هل كنت جائعاً اليوم؟" نادى رجل الكركي بينما اقتربت شجرة الأذن من الجسر.

كان أهل القرية الميسورون يتبادلون التحية بأدب قائلين: "هل أكلت جيداً اليوم؟" قام تري-إير وصديقه بقلب التحية رأساً على عقب من أجل مزحة صغيرة خاصة بهما.

ضغط تري-إير على الكيس المنتفخ الذي كان يرتديه على خصره. كان ينوي كتم الخبر السار، لكن الحماس فاض منه. "يا رجل الكركي! من حسن حظي أنك استقبلتني هكذا الآن، لأننا سنضطر لاحقًا اليوم إلى استخدام الكلمات المناسبة!" رفع الكيس عاليًا. شعر تري-إير بسعادة غامرة عندما اتسعت عينا رجل الكركي دهشةً. كان يعلم أن رجل الكركي سيخمن على الفور - شيء واحد فقط يمكن أن يمنح الكيس هذا الامتلاء الناعم. ليس أوراق الجزر أو عظام الدجاج، التي برزت على شكل كتل غريبة. لا، الكيس كان مليئًا بالأرز.

رفع الرجل ذو الرافعة عكازه في تحية.

كان تري-إير يهرول على طول الطريق في جولته الصباحية الباكرة بين أكوام القمامة في القرية. أمامه كان رجل يحمل حملاً ثقيلاً على "جيجيه"، وهي حقيبة ظهر مفتوحة الإطار مصنوعة من الأغصان. وعلى "الجيجيه" كان هناك وعاء كبير منسوج من القش، من النوع الذي يُستخدم عادةً لحمل الأرز.

أدرك تري-إير أن الأرز لا بد أن يكون من محصول العام الماضي؛ ففي الحقول المحيطة بالقرية، لم يبدأ أرز هذا الموسم بالنمو إلا مؤخرًا. سيمر وقت طويل قبل حصاد الأرز والسماح للفقراء بجمع الحبوب المتساقطة من الحقول الجرداء. عندها فقط سيتذوقون نكهة الأرز النقية ويشعرون بفوائده في بطونهم. مجرد النظر إلى صندوق القش جعل الدموع تنهمر في فم تري-إير.

توقف الرجل في الطريق ورفع صندوق القش الخشبي على ظهره، مخففًا ثقله. وبينما كان تري-إير يحدق، بدأ الأرز يتساقط من ثقب في الصندوق. ازداد التساقط كثافةً حتى أصبح جدولًا. غافلًا، واصل الرجل طريقه.

للحظات وجيزة، تصارعت أفكار تري-إير. أخبره - بسرعة! قبل أن يخسر الكثير من الأرز!

لا! لا تقل شيئاً - ستتمكن من التقاط الأرز المتساقط بعد أن يختفي خلف المنعطف...

قال تري-إير وهو يلهث وينحني: "سيدي الكريم، بينما كنت أسير خلفك، لاحظت أنك تضع علامات على طريقك بالأرز!"

استدار المزارع فرأى مسار الأرز. رجل مفتول العضلات ذو وجه عريض أسمر، دفع قبعته المصنوعة من القش إلى الخلف، وحك رأسه، وضحك ضحكة ساخرة.

قال المزارع: "نفاد الصبر. كان عليّ أن أصنع هذا الوعاء بجدار مزدوج، لكن ذلك كان سيستغرق وقتًا أطول. والآن أدفع ثمن عدم الانتظار قليلًا." ثم

فكّ أحزمة الجيغيه بصعوبة، وتفحّص الوعاء. حاول سدّ الفجوة بالقشّ، لكن دون جدوى، فرفع ذراعيه متظاهرًا باليأس. ابتسم تري-إير، فقد أعجبته طبيعة المزارع الهادئة.

قال المزارع: "أحضر لي بعض الأوراق يا ولد". امتثل "أذن الشجرة"، فوضع الرجل الأوراق في الوعاء كرقعة مؤقتة.

انحنى الفلاح ليرتدي الجيغه. وبينما كان يمشي، نادى من فوق كتفه: "الخير يستحق الخير يا ولد. الأرز على الأرض لك إن تكبدت عناء جمعه."

"شكراً جزيلاً لك أيها السيد الكريم!" انحنى تري-إير، وهو في غاية السرور بنفسه. لقد أصاب في تخمينه، وسرعان ما ستمتلئ حقيبة خصره بالأرز.

لقد تعلم تري-إير من مثال كرين-مان. كان البحث عن الطعام في الغابات وأكوام القمامة، وجمع سنابل الحبوب المتساقطة في الخريف، طرقًا شريفة للحصول على الطعام، تتطلب وقتًا وجهدًا. لكن السرقة والتسول، كما قال كرين-مان، لا تجعل الإنسان أفضل من الكلب.

لم يكن اتباع نصيحة رجل الكركي أمرًا سهلاً دائمًا على شجرة الأذن. اليوم، على سبيل المثال، هل كان انتظار شجرة الأذن حتى تساقط المزيد من الأرز قبل تنبيه الرجل إلى تسرب كيس الأرز سرقة؟ هل يعوض العمل الصالح العمل السيئ؟ كثيرًا ما كانت شجرة الأذن تفكر في هذه الأنواع من الأسئلة، بمفردها أو في نقاش مع رجل الكركي.

هذه الأسئلة تخدم غرضين"، كما أوضح رجل الكركي. "إنها تحافظ على ذهن الرجل متيقظاً، وتبعد أفكاره عن معدته الفارغة."

والآن، كما هو الحال دائماً، بدا وكأنه يعرف أفكار تري-إير دون أن يسمعها. "قال: "أخبرني عن هذا المزارع. أي نوع من الرجال كان؟"

تأمل تري-إير السؤال لبرهة، مسترجعًا ذاكرته. ثم أجاب أخيرًا: "شخصٌ يفتقر إلى الصبر - قالها بنفسه. لم يرغب في انتظار بناء وعاءٍ أكثر متانة. ولم يكن لديه صبرٌ على جمع الأرز المتساقط." صمت تري-إير قليلًا. "لكنه كان يضحك بسهولة، حتى على نفسه."

لو كان هنا الآن، وسمعك تتحدث عن الانتظار لفترة أطول قليلاً قبل التحدث، فماذا تعتقد أنه سيقول أو يفعل؟"

قال تري-إير، مندهشاً من سرعة رده: "كان سيضحك". ثم أضاف ببطء: "أعتقد... أنه لم يكن ليمانع."

يقرأ العلماء الكلمات العظيمة للعالم. لكن يجب علينا أنا وأنت أن نتعلم قراءة العالم نفسه.

سُمّيَ "أذن الشجرة" بهذا الاسم نسبةً إلى الفطر الذي ينمو على شكل أنصاف دوائر مجعدة على جذوع الأشجار الميتة أو المتساقطة، وينبت من الخشب المتعفن دون أن يرث بذرة من الشجرة الأم. قال "رجل الكركي": اسمٌ مناسبٌ ليتيم". وإن كان لـ"أذن الشجرة" اسمٌ آخر، فهو لم يعد يتذكره، ولا يتذكر العائلة التي ربما أطلقت عليه هذا الاسم.

كان تري-إير يتقاسم المساحة تحت الجسر مع كرين-مان، أو بالأحرى، كان كرين-مان يتقاسمها معه. ففي النهاية، كان كرين-مان هناك أولاً، ولن يغادر قريباً. وقد ضمنت ساقه وقدمه الذابلة والملتوية التي وُلد بها ذلك.

كان تري-إير يعرف قصة اسم صديقه. قال كرين-مان: "عندما رأوا ساقي عند ولادتي، ظنوا أنني لن أعيش. ثم، بينما كنت أعيش على ساق واحدة، قيل إنني أشبه الكركي. ولكن إلى جانب الوقوف على ساق واحدة، فإن الكركي

رمزٌ لطول العمر". وأضاف كرين-مان: "هذا صحيح". لقد عاش أطول من جميع أفراد عائلته، ولعدم قدرته على العمل، اضطر إلى بيع ممتلكاته واحدة تلو الأخرى، بما في ذلك، في النهاية، السقف الذي كان يؤويه. وهكذا انتهى به المطاف بالعيش تحت الجسر.

قال: "لا أتذكر كم مضى عليّ هنا، لكنني أعرف كم مضى عليك". وأشار إلى أعلى، نحو أسفل الجسر. "أتعجب أنني لم أريك هذا من قبل".
كانت هناك سلسلة من الخدوش العميقة على إحدى الألواح، كما لو أنها نُقشت بحجر مدبب. فحصها تري-إير، ثم هز رأسه لرجل الكركي. "وماذا في ذلك؟"
"لقد علامة واحدة عن كل ربيع منذ مجيئك إلى هنا،" أوضح رجل الكركي. "كنت أحصي سنواتك، لأنني ظننت أن الوقت سيأتي الذي ترغب فيه بمعرفة عمرك."
نظر تري-إير مرة أخرى، وهذه المرة باهتمام شديد. كانت هناك علامة لكل إصبع من أصابع كلتا اليدين - عشر علامات في المجموع.
أجاب رجل الكركي قبل أن يسأل تري-إير: "لا، لديك أكثر من عشر سنوات. عندما أتيتَ لأول مرة وبدأتُ بوضع تلك العلامات، كنتَ ربما في عامك الثاني - كنتَ بالفعل على قدمين وقادرًا على الكلام."
أومأ تري-إير برأسه. كان يعرف بقية القصة مسبقًا. لم يتعلم كرين-مان سوى القليل من الرجل الذي أحضر تري-إير إلى الجسر. كان الرجل قد تقاضى أجرًا من راهب كريم في مدينة سونغدو ليُحضر تري-إير إلى قرية تشولبو الساحلية الصغيرة. توفي والدا تري-إير بسبب الحمى، وكان الراهب يعرف عمًا له في تشولبو.

و" كان رجل الكركي يقول دائماً، "عندما جاء راهب ليأخذك بعد بضعة أشهر، لم ترغب في المغادرة. تشبثت بساقي السليمة مثل قرد متشبث بشجرة، لا تبكي ولكنك لا تتركها أيضاً! ذهب الراهب. وبقيت أنت."
عندما كان تري-إير أصغر سنًا، كان يسأل عن القصة مرارًا وتكرارًا، كما لو أن سماعها مرارًا وتكرارًا قد يكشف عن شيء آخر - ما هي مهنة والده، وكيف كانت تبدو والدته، وإلى أين ذهب عمه - لكن لم يكن هناك أي شيء آخر. لم يعد الأمر مهمًا. إذا كان هناك ما هو أكثر من مجرد رجل الكركي والجسر لامتلاك منزل، فإن تري-إير لم يكن لديه معرفة بذلك ولا حاجة إليه.
كان فطور ذلك الصباح وليمة شهية - قليل من الأرز المسلوق حتى أصبح عصيدة في قدر فخاري قديم، يُقدم في وعاء منحوت من ثمرة قرع. وأحضر رجل الكركي مفاجأة أخرى ليضيفها إلى الوجبة: عظمتان من أفخاذ الدجاج. لم يبقَ أي لحم على العظام الجافة، لكن الصديقين كسراها واستخرجا كل نخاع العظم من داخلها.

بعد أن أنهى تري-إير أعماله المنزلية، ترك رفيقه وانطلق عائدًا على الطريق. هذه المرة لم يتلوى بين أكوام القمامة، بل سار بخطى ثابتة نحو منزل صغير منعزل عن المنازل الأخرى عند منعطف في الطريق.
تباطأ تري-إير مع اقترابه من البناء الطيني والخشبي. أمال رأسه مصغيًا، وابتسم عندما وصلت إلى أذنيه مقاطع رتيبة من أغنية. كان الخزّاف الماهر مين يغني، مما يعني أنه يوم "التشكيل".

كان منزل مين يقع خلف سفوح التلال المكسوة بالأشجار والشجيرات، والتي تفسح المجال لجبال مغطاة بأشجار الصنوبر في الأفق. امتدت أشجار الأذن الشجرية بعيدًا عن المنزل. تحت السقف العميق في الخلف، كان مين يحتفظ بعجلة الخزاف. كان هناك الآن، رأسه الرمادي منحني فوق العجلة، يردد أغنيته الصامتة.

شقّ تري-إير طريقه بحذر إلى مكانه المفضل، خلف شجرة الباولونيا التي أخفته أغصانها المنخفضة عن الأنظار. نظر من بين الأوراق وانتعش ببهجة. كانت مين قد بدأت للتو في إناء جديد.

في لحظات معدودة، ارتفع الطين وانخفض، وازداد طوله، ثم استدار حتى انحنى بشكل متناسق تمامًا. تباطأ الدوران. وتلاشى الترانيم أيضًا، وتحول إلى همهمات كلمات لم يستطع تري-إير سماعها.

جلس مين منتصبًا. شبك ذراعيه وانحنى قليلًا إلى الخلف، كما لو كان ينظر إلى المزهرية من بعيد. أدار العجلة ببطء بركبته، متفحصًا شكلها الرشيق بحثًا عن عيوب خفية. ثم قال: "باه!" هز رأسه، وبحركة واحدة من الاشمئزاز، جمع الطين وصفعه على العجلة، فانهار مرة أخرى إلى كتلة خشنة، كما لو كان يشعر بالخجل.

فتح تري-إير فمه ليُخرج زفيرًا صامتًا، ولم يُدرك إلا حينها أنه كان يكتمه. بدت المزهرية في عينيه مثالية، عرضها نصف ارتفاعها، وانحناءاتها كبتلة زهرة. تساءل: لماذا وجدها مين غير جديرة؟ ما الذي رآه فيها وأزعجه إلى هذا الحد؟

لم يفشل مين قط في رفض محاولته الأولى، ثم يعيد العملية برمتها. في ذلك اليوم، تمكّن تري-إير من مشاهدة الطين وهو يرتفع وينخفض أربع مرات قبل أن يرضى مين. بدت كل محاولة من المحاولات الأربع متطابقة بالنسبة لتري-إير، لكن شيئًا ما في المحاولة الرابعة أسعد مين. أخذ مين خيطًا رفيعًا وأدخله بمهارة تحت المزهرية لإخراجها من دولاب الخزف، ثم وضعها بعناية على صينية لتجف.

كانت قرية تشولبو تطل على البحر، وظهرها للجبال، ويحدها النهر كخط فاصل أنيق. وقد أنتج خزافيها الخزف السيلادوني الرقيق الذي اكتسب شهرة ليس فقط في كوريا، بل وصل إلى بلاط الإمبراطور الصيني.

أصبحت تشولبو قريةً مهمةً لصناعة الخزف بفضل موقعها وتربتها. فبموقعها على شاطئ البحر الغربي، كانت تتمتع بسهولة الوصول إلى أسهل طريق بحري شمالاً، فضلاً عن ازدهار التجارة مع الصين. كما احتوى الطين المستخرج من حفر القرية على الكمية المناسبة من الحديد لإنتاج اللون الرمادي المخضر الرائع للسيلادون، الذي يحظى بتقدير كبير من هواة جمع الخزف.

كان تري-إير يعرف كل خزّاف في القرية، لكنه لم يكن يعرفهم حتى وقت قريب إلا من خلال أكوام نفاياتهم. كان من الصعب عليه أن يصدق أنه لم يسبق له أن خصص وقتًا لمشاهدتهم وهم يعملون. في السنوات الأخيرة، اكتسبت أواني الفخار من أفران القرية رواجًا كبيرًا بين الأثرياء القادرين على شراء قطع منها كهدايا للبلاط الملكي والمعابد البوذية، وحقق الخزافون مستويات جديدة من الرخاء. ونتيجة لذلك، أصبحت غنائمهم من أكوام النفايات أغنى، ولأول مرة، تمكن تري-إير من نسيان معدته لبضع ساعات كل يوم.

العمل دون قيود يعني أن مين كان يمتلك مهارة فائقة وثقة عالية تضاهيها. كان الخزافون يحافظون على أسرارهم بحرص شديد. شكل جديد لإبريق الشاي، تصميم منقوش جديد - كانت هذه أمورًا يرفض الخزافون الكشف عنها حتى تصبح القطعة جاهزة للعرض على المشتري.

لم يبدُ أن مين يكترث لمثل هذه السرية. كان الأمر كما لو أنه يقول: تفضلوا، شاهدوني. لا يهم، لن تستطيعوا تقليد مهارتي.

كان ذلك صحيحاً، وكان أيضاً السبب الرئيسي وراء حب تري-إير لمشاهدة مين. كان عمله الأفضل في المنطقة، وربما حتى في البلاد بأكملها.

نظر تري-إير من بين أوراق شجرة الباولونيا في حيرة. لقد مرت عدة أيام منذ زيارته الأخيرة لمنزل مين، وكان قد حسب أن الوقت قد حان ليوم آخر من العمل على دولاب الخزف. لكن لم يكن هناك أي أثر لمين في عمله، ولا أي طين رطب على الدولاب. كانت منطقة الورشة مرتبة، مع وجود بضع دجاجات في الفناء كدليل وحيد على وجود حياة.

تشجع تري-إير بالصمت، فخرج من مخبئه واقترب من المنزل. كان على الحائط رفوفٌ تحمل بعضًا من أحدث إبداعات مين. كانت في المرحلة التي يسميها الخزافون "صلابة الجلد" - أي أنها جفت بفعل الهواء لكنها لم تُطلَق أو تُحرق بعد. ولأنها غير مطلية، لم تكن هذه الأعمال ذات أهمية كبيرة للصوص. لا شك أن القطع النهائية كانت مخبأة في مكان ما في المنزل.

توقف تري-إير على حافة الشجيرات وأصغى جيدًا للمرة الأخيرة. نقرت دجاجة بفخر، فابتسم تري-إير - سيحصل مين على بيضة على العشاء. لكن لم يكن هناك أي أثر للخزّاف، لذا تسلل تري-إير على أطراف أصابعه الدرجات الأخيرة ليقف أمام الرفوف.

حدّق تري-إير في بطة مين. مع أنها أصبحت رمادية باهتة، إلا أن تفاصيلها كانت دقيقة لدرجة أنه وجد نفسه يصغي نصف استماع لصوت بطة. لقد شكّل مين الطين ثم نحته ليُضفي انحناءة على الجناح وميلًا على الرأس. حتى الذيل الصغير التفّ بجرأة جعلت تري-إير يبتسم.

أبعد نظره عن البطة ليتفحص القطعة التالية، وهي إبريق طويل ذو خطوط مضلعة تحاكي شكل البطيخ. كانت الخطوط متناظرة تمامًا، تنحني برشاقة من الأعلى إلى الأسفل، حتى أن تري-إير تمنى لو يمرر إصبعه على الأخاديد الضحلة الملساء. صُمم ساق البطيخ وأوراقه ببراعة ليشكلا غطاء الإبريق.

كانت القطعة الأخيرة على الرفّ هي الأقل إثارة للاهتمام، صندوق مستطيل ذو غطاء بحجم يديه. كان خاليًا تمامًا من أي زخرفة. شعر تري-إير بخيبة أمل من بساطته، وكان على وشك أن يدير ظهره عندما خطرت له فكرة. من الخارج، كان الصندوق بسيطًا، ولكن ربما من الداخل...

وضع تري-إير غطاء الصندوق الكبير على الرف، ثم التقط أحد الأوعية المنحنية. كان أسفل غطائه حافة من الطين تثبته في مكانه. تذبذبت عينا تري-إير بين القطع الصغيرة في يده والوعاء الأكبر، وعقد حاجبيه وهو يفكر.

كيف استطاع مين تركيبها معًا بهذه الدقة؟ ربما صنع الصندوق الكبير أولًا، ثم صنع صندوقًا ثانيًا ليناسب داخله، ثم قص الصناديق الأصغر منه؟ أم أنه صنع صندوقًا داخليًا أولًا ثم وضع الصندوق الأكبر حوله؟ ربما بدأ بالصندوق المركزي الصغير، ثم الصناديق المنحنية، ثم...

صرخ أحدهم. صاحت الدجاجات بصوت عالٍ، وأسقط تري-إير ما كان يحمله. وقف هناك، مشلولًا للحظة، ثم رفع يديه أمام وجهه ليحمي نفسه من الضربات التي كانت تنهال على رأسه وكتفيه.

كان الخزّاف العجوز. صرخ قائلًا: "لص! كيف تجرؤ على المجيء إلى هنا! كيف تجرؤ على لمس عملي!"

لم يفعل تري-إير سوى الشيء الوحيد الذي استطاع التفكير فيه. سقط على ركبتيه وانحنى انحناءة رسمية عميقة.

توقفت عصا مين في منتصف الضربة. وقف الخزّاف فوق الصبي والعصا لا تزال جاهزة لضربة أخرى.

"هل أتيت إلى هنا من قبل يا صبي متسول؟"

تشتتت أفكار تري-إير وهو يحاول التفكير في إجابة. بدت الحقيقة هي الأسهل.

"نعم، سيدي الكريم. أنا آتي كثيراً لأشاهدك وأنت تعمل."

"آه!"

كان تري-إير لا يزال منحنياً في قوسه، لكنه استطاع أن يرى من طرف عينه طرف العصا وهي تُنزل إلى الأرض. فسمح لنفسه بتنهيدة ارتياح واحدة.

"هل أنت من يكسر الأغصان ويخدش أوراق شجرة الباولونيا الموجودة في الجهة المقابلة؟"

أومأ تري-إير برأسه، وشعر بحرارة وجهه. لقد ظن أنه كان يخفي آثاره جيداً.

"ألا تسرق، كما تقول؟ كيف لي أن أعرف أنك لا تراقبني فقط لترى متى صنعت شيئاً ذا قيمة إضافية؟"

رفع تري-إير رأسه ونظر إلى مين. حافظ على صوته محترماً، لكن كلماته كانت مليئة بالفخر.

"لن أسرق. السرقة والتسول لا يجعلان الإنسان أفضل من الكلب."

حدّق الخزّاف في الصبي لبرهة طويلة. وأخيراً، بدا أن مين قد حسم أمره بشأن شيء ما، وعندما تكلم مجدداً، كان صوته قد فقد حدة غضبه.

وقف تري-إير ببطء، والخجل يغلي في صدره. كان ذلك صحيحاً. لم يكن ليتمكن أبداً من سداد ثمن الصندوق التالف لمين.

التقط مين الشيء وألقاه على كومة القمامة على جانب الفناء. وظل يتمتم بغضب: "آه، ثلاثة أيام عمل، ولماذا؟ على لا شيء. أنا متأخر الآن. ستتأخر الطلبية..."

خطا تري-إير بضع خطوات متثاقلة خارج الفناء. لكن عندما سمع تمتمات الخزّاف العجوز، رفع رأسه والتفت نحوه.

"أيها الخزّاف الكريم؟ سيدي؟ ألا يمكنني العمل لديك كأجر؟ ربما تساعدني مساعدتي في توفير بعض الوقت..."

هز مين رأسه بنفاذ صبر. "ماذا عساك أن تفعل، أيها الطفل غير المدرب؟ ليس لدي وقت لأعلمك - ستكون مصدر إزعاج أكثر من كونه عوناً."

تقدم تري-إير بحماس. "لن تحتاج إلى تعليم الكثير كما تظن يا سيدي. لقد كنت أراقبك لعدة أشهر الآن. أعرف كيف تخلط الطين، وكيف تدير العجلة - لقد شاهدتك تصنع أشياء كثيرة..."

لوّح الخزّاف بيده ليقاطع كلام الصبي، ثمّ قال ساخرًا: "أدر العجلة! ها! يظنّ أنّه يستطيع الجلوس وصنع إناءٍ بهذه السهولة!"

عقد تري-إير ذراعيه بعناد ولم يُحوِّل نظره. التقط مين بقية علبة الأقراص وألقى بها هي الأخرى في كومة القمامة. تمتم بكلمات غير مفهومة، فلم يسمعها تري-إير.

قال بصوتٍ لا يزال خشنًا من شدة الانزعاج: "حسنًا، لا باس. تعال غدًا عند الفجر. لقد استغرقتُ ثلاثة أيام لصنع هذا الصندوق، لذا ستُعطيني عمل تسعة أيام في المقابل. لا أستطيع حتى أن أتخيل مدى تفوق قيمة عملي على عملك، لكننا سنتفق على هذا كبداية."

انحنى تري-إير موافقًا. سار حول جانب المنزل، ثم طار مبتعدًا في الطريق. لم يكن بوسعه الانتظار ليخبر كرين-مان. لأول مرة في حياته، سيكون لديه عمل حقيقي يقوم به.

عند وصوله إلى العمل في اليوم التالي، علم تري-إير أن دور مين قد حان لتقطيع الحطب لإشعال أفران الحرق. ولهذا السبب لم يكن في المنزل في اليوم السابق.

كحال معظم قرى الخزافين، كان لدى تشولبو فرن مشترك. يقع الفرن على سفح التل خارج مركز القرية مباشرةً، ويبدو كنفق طويل ومنخفض مصنوع من الطين المتصلب. كان الخزافون يتناوبون على استخدام الفرن وتوفير الوقود اللازم له.

سلم مين تري-إير فأسًا صغيرًا وقاده حول جانب المنزل إلى عربة ذات عجلات.

"املأ العربة بالحطب،" صاح مين. "الحطب جاف، وليس مبللاً. لا تعد حتى تمتلئ العربة."

بدّد مين ذلك الأمل بكلماته التالية. قال: "احرصوا على التوغل في الجبال. لقد قُطعت أشجار كثيرة جداً بالقرب من القرية. ستسيرون مسافة طويلة قبل أن تجدوا غابة كثيفة."

ابتلع تري-إير تنهيدة وهو يضع الفأس في العربة. أمسك بالمقبضين ودفع العربة إلى الطريق. استدار ليودع، لكن الخزّاف لم يكن هناك. انبعث صوت أغنية رمي الفأس من خلف المنزل.

كان تقطيع الحطب لساعات دون تناول لقمة واحدة أمراً شاقاً بما فيه الكفاية. لكن أسوأ ما في ذلك اليوم كان رحلة العودة الطويلة من أعلى الجبل بالعربة المليئة بالحطب.

كان الطريق وعرًا ومليئًا بالحفر. وكانت العربة المصنوعة يدويًا غير متوازنة، ثقيلة الوزن، مما جعلها غير مريحة. في كل خطوة، كان على تري-إير أن يُبقي عينيه مُركزتين على الطريق والعربة. ورغم جهوده، كلما اصطدمت العجلات بحفرة عميقة، كانت العربة تنقلب بشكل خطير وتتساقط بعض جذوع الأشجار. عندها كان عليه أن يتوقف ليلتقط الخشب المتساقط. كان الأمر مزعجًا للغاية، لأنه كان حريصًا على وضع الخشب بدقة أثناء تقطيعه، وكل مطب يؤدي إلى مزيد من الفوضى في الكومة المرتبة.

في تلك اللحظة، اصطدمت العجلة اليمنى بحجر. انتُزعت مقابض العربة من يديه، وانقلبت العربة على جانبها. أدى الزخم إلى فقدان تري-إير توازنه، فتعثر بالعربة وسقط على رأسه أرضًا.

نهض فجأةً وهو في حالة ذهول. للحظة، لم يدرِ أكان يلعن أم يبكي. ضمّ شفتيه بقوة ونهض على قدميه، ثم سحب العربة إلى وضعها الصحيح وبدأ يرمي الخشب فيها بعنف.

وبينما كان يرفع جذع شجرة كبير وخشن، اخترق ألم حاد يده اليمنى. صرخ وقبضها بقوة للحظة حتى خفّ الألم قليلاً. ثم فتحها بحذر وفحص الإصابة.

انفجرت الوسادة السائلة التي تشكلت على راحة يده خلال ساعات طويلة من استخدام الفأس. سال الدم من الجرح، مختلطًا بالتراب وقطع صغيرة من اللحاء. حدق تري-إير في الجرح، ولم يستطع منع الدموع الحارقة التي تجمعت خلف عينيه.

بغضب، مسح دموعه وشرع في تمزيق قطعة قماش من أسفل سترته. لم يكن هناك ماء قريب، فبصق على كفه ومسحها قدر استطاعته، وهو يضغط على أسنانه من شدة الألم. استخدم يده الأخرى وأسنانه للفّ القماش وربطه كضمادة مؤقتة.

زحف تري-إير إلى منزله على الجسر في ذلك المساء. تحوّل تعبير كرين-مان الهادئ عادةً إلى عبوس قلق عندما تعثّر تري-إير وسقط في المساحة أسفل الدعامات، ثم انهار على الأرض.

لم ينطق رجل الكركي بكلمة. اكتفى بتقديم وعاء وضع فيه كومة صغيرة من الأرز وقليلًا من الخضار المسلوقة. من شدة الإرهاق، رفض تري-إير الطعام. لكن رجل الكركي زحف نحوه متكئًا على عكازه، ثم جلس بجانب تري-إير. تناول رجل الكركي قليلًا من الأرز بأصابعه، وبدأ بإصرار، دون أن ينبس ببنت شفة، بإطعام تري-إير كما لو كان طفلًا رضيعًا.

لم يتذكر تري-إير أنه أنهى وجبته، لكنه استيقظ في صباح اليوم التالي ليجد كرين-مان يتأرجح إلى أسفل الجسر ممسكًا بإحدى دعاماته، كما يفعل دائمًا. كان كرين-مان صغيرًا ونحيلًا، ولا أحد يعلم كم عمره، لكنه كان لا يزال يحرك الجزء العلوي من جسده بخفة شاب؛ وكثيرًا ما نسي تري-إير ساقه العاجزة تمامًا. أين كان كرين-مان طوال هذا الوقت المبكر؟

انتصب تري-إير فجأة وبدأ يفرك عينيه. وبينما كان يرفع يده اليمنى إلى وجهه، لمح الضمادة الخشنة. كانت متصلبةً ومغطاةً بالدماء المتخثرة.

مدّ تري-إير يده. قام كرين-مان بفكّ الضمادة وبدأ في فكّها.

"شششش!" أطلق تري-إير صرخة ألم حادة وسحب يده بعيدًا. كانت الطبقة الأخيرة من القماش ملتصقة بالجرح بعناد، وكان كرين-مان يحاول نزعها.

قال رجل الكركي بلطف وحزم: "هيا يا صديقي القرد، يجب إزالته حتى نتمكن من تنظيف الجرح. لا شك أن شياطين المرض تخطط بالفعل للدخول إلى جسدك من خلال هذا الباب."

نهض تري-إير وتوجه بخطوات متثاقلة نحو حافة الماء. انحنى وغمس يده في الماء. خففت برودته من الألم النابض، وأرخت رطوبته ضغط القماش على الجرح. متألمًا، أزاح الضمادة برفق.

بينما كان تري-إير ينظف جرحه، أخذ كرين-مان قطعة القماش وغسلها جيدًا بالماء من وعاء القرع، وفركها على حجر مسطح على حافة النهر. ثم عصرها وسلمها إلى تري-إير، الذي تسلق الضفة بسرعة وعلقها على دعامة لتجف في الشمس.

أخرج رجل الكركي من جيبه حفنة من الأعشاب الخضراء التي جمعها من الغابة في وقت سابق من ذلك الصباح. طحنها بين حجرين حتى أصبحت عجينة، ثم غرف بعضًا من العجينة بإصبعيه ووضعها على يد تري-إير.

تناول الصديقان اخر ما تبقى من كنز الأرز على الإفطار، وكان تري-إير يمسك المعجون بيده الأخرى أثناء تناوله الطعام. ثم قام كرين-مان بربط قطعة القماش الجافة الآن كضمادة.

قال: "ها هو ذا. بضعة أيام من الراحة ستعيد تلك اليد إلى حالتها الأصلية." ثم نظر إلى تري-إير بصرامة.

لم ينبس تري-إير ببنت شفة. كان يعلم أن كرين-مان قد خمن بالفعل أنه لن يكون هناك راحة في ذلك اليوم. لا يزال أمام مين ثمانية أيام من العمل.

هرول تري-إير على الطريق باتجاه منزل مين. لكنه أبطأ قليلاً عندما سمع الخزّاف يوبخه حتى قبل وصوله.

أي نوع من الصبية عديمي الفائدة هذا، يعود متأخرًا جدًا في اليوم السابق ويترك العربة دون كلمة؟ كان ينبغي نقل ذلك الخشب إلى الفرن وتفريغه. لقد فعل مين ذلك بنفسه عند الغسق، وكاد أن يُصاب وهو يتعثر عائدًا إلى المنزل في الظلام. مثل هذه المساعدة أسوأ من عدم وجود أي مساعدة على الإطلاق! الآن، هل كان تري-إير ينوي حقًا أن يكون مفيدًا؟ إن لم يكن كذلك، فمن الأفضل له أن ينسى اتفاقهما برمته...

أخيرًا، توقف مين لالتقاط أنفاسه. لم يجرؤ تري-إير على رفع رأسه. شعر وكأنه وحش برأسين، أحدهما يشعر بالخجل والآخر بالاستياء. خجل لأنه لم يُنهِ العمل على النحو الأمثل، واستياء لأن مين لم يُعطه تعليمات واضحة. "املأ العربة" - كان هذا هو الأمر، وقد نفّذه. هل كان يُتوقع منه أن يقرأ أفكار مين أيضًا؟

قال تري-إير: "أنا آسف لأنني أغضبت الخزّاف المحترم. إذا تفضل عليّ ومنحني فرصة أخرى، فلن يخيب أمله".

همهمت مين واستدارت نحو جانب المنزل. وقف تري-إير للحظة، غير متأكد مما يجب فعله.

"هل ستأتي أيها المتسول، أم أنك حسنًا؟" استدار مين بفارغ الصبر. "تمثال متجمد القدمين في الأرض؟"

فرحة تري-إير بالغفران كانت كخيط دخان؛ فقد بددت أوامر مين لهذا اليوم تلك الفرحة. كانت مهمته هي نفسها مهمة اليوم السابق - ملء العربة بالخشب، وتفريغها هذه المرة في موقع الفرن.

كان تري-إير يظهر كل يوم على باب مين بشوق. وكان مين يرسله كل يوم إلى أعلى الجبل بالعربة ليقطع المزيد من الحطب. وفي الليل، ومع عناية كرين-مان الدقيقة، كان جرح يد تري-إير يبدأ بالشفاء، وتتصلب الطبقة الوردية الرقيقة قليلاً. ولكن مع بداية عمل اليوم التالي، كان الجرح ينشق وينزف من جديد. اعتاد تري-إير على الألم؛ كان الخفقان كرفيق غير مرغوب فيه يظهر يوميًا بعد الضربات الأولى للفأس.

في اليوم الثالث، عرض رجل الكركي أن يرافقه. فكّر تري-إير مليًا في طريقة مهذبة للرفض. كان يعلم ما سيحدث: سيرغب رجل الكركي في تجنيب يد تري-إير المتقرحة وسيأخذ الفأس بنفسه. ارتجف تري-إير وهو يتخيل رجل الكركي يحاول تقطيع الحطب متكئًا على عكازه. قد يُصيب ساقه السليمة.

كان رجل الكركي راضياً. بدا لشجرة الأذن أن صديقه قضى اليوم بأكمله وهو يحاول معرفة كيفية تحويل حفنة من الأعشاب والعظام إلى شيء يشبه الوجبة.

على مدار الأيام، طور تري-إير روتينًا للعمل والراحة. فترة من التقطيع والتحميل الدؤوب، ثم استراحة؛ كان هذا أفضل من عدة ساعات من التقطيع

المحموم الذي تركه مع كومة ضخمة وغير مرتبة من الخشب، والتي استغرقت وقتًا طويلاً في التحميل وتركته منهكًا.

- في فترات الراحة القصيرة، كان أحيانًا يتمكن من جمع بعض الطعام بضع فطر بري هنا، وحفنة من براعم السرخس هناك. لقد علّمه رجل الكركي جيدًا خلال رحلاتهما العديدة معًا عبر هذه الجبال. كان تري-إير يعرف أي الفطر لذيذ وأيها سام. كان يعرف الطيور من تغريدها، وكيف يختلف أثر أسد الجبل عن أثر الغزال. ولم يضلّ طريقه أبدًا، لأنه كان يعرف مسارات الجداول، التي تشير بوضوح كالسهم إلى أسفل الجبل نحو الطريق.

في موقع الفرن، كان يرى غالباً الخزافين الذين يحين دورهم في استخدامه. وكانوا يحيّونه بإيماءة عند وصوله. وفي اليوم الرابع، خاطبه أحدهم قائلاً: "أنت صبي مين الجديد، أليس كذلك؟"

عرف تري-إير الخزّاف الذي كان يتحدث؛ كان اسمه كانغ. كان كبيرًا في السن بما يكفي ليبدأ الشيب يغزو شعره، لكنه أصغر من مين، ذو نظرة ثاقبة وطباع مضطربة. أنزل تري-إير مقابض العربة إلى الأرض وانحنى برأسه.

قال كانغ بنبرة حادة: "حان الوقت ليطلب الرجل العجوز المساعدة. في المرات القليلة الماضية، لم يحضر حصته من الحطب حتى ولو كانت قليلة."

ثم تقدم كانغ وبدأ بالمساعدة في تفريغ العربة، فانتهى عمل تري-إيرز أبكر من المعتاد. وبقي لديه متسع من الوقت للبحث في مكب النفايات في طريق عودته إلى المنزل؛ فقلب الكرنب الذي وجده سيُضاف إلى ما سيُحضّره رجل الكركي للعشاء.

ظلّ تري-إير مستيقظًا معظم الليل، يفكر مرارًا وتكرارًا في أفضل طريقة للتقرب من مين. خلال أيام العمل التسعة، لم يلمس تري-إير الطين ولو لمرة واحدة. لن يتمكن أبدًا من صنع إناء ما لم يتمكن من الحفاظ على علاقته مع الخزّاف.

أعاد تري-إير ترديد كلماته للمرة الأخيرة وهو يقترب من منزل مين. أخذ نفساً عميقاً وحبسه للحظة ليستعيد توازنه، ثم نادى قائلاً: "سيد بوتر؟"

تفاجأ تري-إير عندما فتحت زوجة مين الباب. كان يعلم، بالطبع، أن مين متزوج. في الأيام التي كان يتجسس فيها على مين، كان تري-إير يلمح زوجته أحيانًا وهي تخرج إلى الفناء لتنشر الحبوب للدجاج أو لجلب الماء. لكن لأنها لم تكن لها علاقة بصناعة الفخار، تجاهلها تري-إير. وفي الأيام القليلة الماضية التي قضاها في قطع الأخشاب، لم يرها أو يفكر بها على الإطلاق.

ثم انحنى برأسه وهو يقف أمامها. وسألها: "هل السيد موجود في المنزل؟"

أجابت: "إنه يتناول فطوره. يمكنك الانتظار في الجزء الخلفي من المنزل."

رفع تري-إير نظره إليها، فالتقت عيناهما. كانت عيناها مشرقتين وناعمتين، مثبتتين في وجه صغير تغطيه تجاعيد دقيقة. خفض نظره على الفور، لا يريد أن يُعتبر غير مهذب. فكر قائلًا: "مثل عيني رجل الكركي"، وتساءل عن السبب.

كان مين يغسل يديه في حوض تحت حافة السقف عندما وصل تري-إير إلى الفناء الخلفي.

ماذا تفعل هنا؟" كان صوت مين غاضبا، ولم يرفع رأسه. "لقد مرّت تسعة" أيام، وقد سُدّد دينك. إذا كنت قد أتيت لتسمعني أقول ذلك، فيمكنك الذهاب ".الآن

انحنى تري-إير. وقال: "أرجو من الخزّاف الكريم أن يسامحني على ...وقاحتي. أود أن أعرب عن امتناني"

"أجل، أجل،" قال مين بفارغ الصبر. "ما الأمر؟"

سيكون شرفًا عظيمًا لي أن أستمر في العمل لدى الخزّاف." بدأ تري-إير" —خطابه الذي خطط له بعناية. "إذا كان سينظر في الأمر

لا أستطيع أن أدفع لك." لم يكن من الممكن أن تكون مقاطعة مين أكثر" حدة، لكن الكلمات المقتضبة اجتاحت تري-إير كالمطر البارد على حقل قاحل. لا أستطيع أن أدفع لك" كانت بمثابة "نعم". موجة من الفرح رفعت قلب تري-" .إير إلى حلقه، حتى أنه اضطر إلى السعال بأدب قبل أن يتكلم مرة أخرى

."قال مين: "يدق جرس المعبد حتى غروب الشمس، كل يوم

وجد تري-إير نفسه على الأرض، منحنياً بامتنان شديد. بالكاد استطاع منع .نفسه من الركض عائداً إلى الجسر ليخبر كرين-مان بالخبر السار

.الطين اليوم، وليس الخشب." كانت تلك أوامر مين لليوم العاشر"

ومرة أخرى، جرّ تري-إير العربة، هذه المرة على طول طريق النهر، حتى وصل إلى منطقة الحفر. هنا، تم تقطيع الطين إلى ألواح أنيقة، تاركًا نمطًا من .المستطيلات المتداخلة على ضفة النهر

توقف تري-إير للحظة عندما وصل إلى حفر الطين. كان قد مرّ بهذه الحفر مرات عديدة من قبل، وكان دائماً ما يستمتع بالنظر إلى المشهد هناك؛ فقد كان يعجبه النمط الهندسي لضفة الطين. لكنه شعر اليوم وكأنه يرى الرجال .والفتيان يعملون هناك للمرة الأولى

باستخدام المجارف، كانوا يقطعون الطين بحركات سريعة يصعب متابعتها. وعندما يتم تحديد شكل لوح الطين بالمجرفة، يتم فصله عن الضفة .ورفعه في عربة أو سلة قريبة

راقب تري-إير لبرهة، والمجرفة التي أعطاه إياها مين على كتفه. ثم انزلق على الضفة الموحلة ليقف في الماء الضحل. رفع المجرفة عالياً فوق كتفه، ثم أنزلها بصوت مكتوم. شقت المجرفة طريقها في الطين الرطب، ولاحظ تري-إير بارتياح الخط النظيف الذي رسمته حافتها. شدّ مقبض .المجرفة، مستعداً للقطع التالي

وأخيرًا، اضطر تري-إير إلى إزالة الطين المحيط برأس المجرفة لتحريرها. كانت ذراعاه وساقاه مغطاة بالطين بالفعل. توقف ليطرد بعوضة، ثم مسح .جانبًا من وجهه بكمية من الطين. وأخيرًا، نهض وضرب المجرفة مرة أخرى

استغرق منه ملء العربة بالطين طوال الصباح. كان الحفارون الآخرون قد رحلوا منذ زمن، بعد أن قطعوا طينهم بمهارة فائقة تركت تري-إير وحيدًا يائسًا. ثقيل! كان الطين الرطب أثقل بكثير مما كان يتخيل. لم يستطع رفع لوح واحد بالمعول؛ كان عليه أن يقطع كل لوح إلى عدة قطع ويرفعها واحدة تلو الأخرى إلى العربة. عبس تري-إير لرؤية كتل الطين المشوهة في عربته، والتي كانت مختلفة تمامًا عن المستطيلات المرتبة التي صنعها العمال .الآخرون

علاوة على ذلك، تسبب العمل بالمجرفة في تمزق يده المتقرحة مرة أخرى. لكن الألم لم يكن شديداً كما كان عليه الحال على سفح الجبل، لأنه هنا كان بإمكانه وضع حفنات من الطين البارد والملطف على الجرح.

ثم خطرت له فكرة فجأة – العشاء! لقد نسيه في غمرة عناء الصباح. المتدربون، والمساعدون، وأدنى العمال في كل مهنة – بغض النظر عن مكانتهم، كان من واجب أصحاب العمل توفير وجبة لهم في منتصف يوم العمل. والآن وقد تخلص تري-إير من دينه، أصبح مين ملزمًا بإطعامه. اخترقت هذه الفكرة إرهاق تري-إير كشعاع شمس يخترق غيمة.

ترك العربة على الطريق وقفز إلى النهر. فركها ورشّها بالماء وغطس تحته تمامًا ليتخلص من أكبر قدر ممكن من الأوساخ. لم يكن من اللائق أبدًا أن يظهر في أول وجبة عمل له وهو ملطخ بالطين.

ألقى مين نظرة خاطفة على العربة المليئة بالطين. قال وهو يشم: "لقد تأخرت بما فيه الكفاية في العودة. لن أتمكن من القيام بأي عمل آخر حتى بعد تناول وجبة الغداء."

دخل المنزل دون أن يذكر شيئًا عن طعام تري-إير. لكن تري-إير لم يكد يتساءل حتى ظهرت زوجة مين عند المدخل. مدت يدها بطرد ملفوف بقطعة قماش.

هرول تري-إير نحو الباب، مقاوماً رغبته في انتزاع الطرد منها. انحنى برأسه ومد يديه، راحتاه لأعلى ومتلاصقتان، كما هو لائق عند استلام شيء ما.

شعرت تري-إير بغصة حارة في حلقها. رفع رأسه ورأى في عينيها أنها سمعت شكره رغم أنه لم يستطع النطق بالكلمات.

جلست تري-إير على حجر تحت شجرة الباولونيا، وفكّت أطراف قطعة القماش. كانت تحمل وعاءً من القرع مملوءًا بالأرز، وقد زُيّن بياضه ببضع قطع داكنة من السمك المجفف اللذيذ، وكومة صغيرة من الكيمتشي - وهو ملفوف مخلل غنيّ بنكهة الفلفل الأحمر والبصل الأخضر والثوم. وُضِع زوج من عيدان الطعام بشكل أنيق فوق الوعاء.

التقط تري-إير عيدان الطعام وحدق للحظة. كان متأكدًا من شيء واحد: لن تتفوق ولائم يوم العيد في قصر الملك على الوجبة المتواضعة التي أمامه، لأنه استحقها.

حمل تري-إير حمولة أخرى من الطين إلى مين بعد ظهر ذلك اليوم، ثم عاد إلى الجسر حيث كان كرين-مان قد طهى بعض الفطر البري لعشائهم. تحدث تري-إير بحماس عن عمله في ذلك اليوم. لم يلاحظ تري-إير أن شيئًا ما مفقود إلا عندما نهض كرين-مان ليجمع أوعية العشاء.

العكاز. وبالفعل، بعد أن ناول رجل الكركي الأوعية لشجرة الأذن ليغسلها، جلس ومعه سكين وغصن متين مستقيم وبدأ بنحت عكاز جديد. مسحت شجرة الأذن الأوعية، ورصتها بعناية على رفها الصخري، ثم سألت أخيرًا: "ماذا حدث للعكاز القديم؟"

هذا كل ما قاله، لكن تري-إير سمع أكثر من ذلك بكثير. مع أن تشولبو كانت تقع على البحر، إلا أنها كانت قرية للخزافين، وليست قرية صيد. نادرًا ما كان الرجال والفتيان يخصصون وقتًا من عملهم للصيد. ومع ذلك، كانوا جميعًا

يتقنون مهارة الصيد المفيدة، وكثيرًا ما كانت النساء والفتيات يجمعن المحار عند انخفاض المد.

كان ظهور سمك الفلوندر يعني أن سربًا من هذه الأسماك اللذيذة قد اقترب من الشاطئ أكثر من المعتاد؛ حتى أن الأمواج ألقت ببعضها على الرمال. دفع هذا الخبر الكثيرين إلى التدافع للحصول على عصي الخيزران. ولكن كان على المرء أن يكون من أوائل الواصلين من القرية إلى الشاطئ. سرعان ما عاد سمك الفلوندر إلى البحر، ولم يتمكن من انتشال الأسماك التي كانت تتخبط على الرمال إلا الأسرع.

لطالما كان تري-إير هو من يهرع إلى الشاطئ عند سماعه بظهور سمك الفلوندر، ولم يعد قط دون سمكة سمينة أو اثنتين ليُعدّ وليمة نادرة. والآن، عرف دون أن يسأل أن كرين-مان قد ترنّح إلى الشاطئ وسار على الرمال، خائنًا عكازه، ليعود خالي الوفاض.

قام الرجل الذي يعمل بالرافعة بنحت قطعة أخرى من الخشب، ثم رفع العكاز إلى عينه، محدقًا للتأكد من استقامة خطوطه. قال وهو يعود إلى نحته: "كنت غاضبًا لعدم اصطيادي أي سمكة، فضربت عكازي بصخرة. انكسر بالطبع."

جمع تري-إير النشارة في كفه، ثم رماها في النهر. وبينما كان يراقب التيار وهو يحملها بعيدًا، تمتم قائلًا: "أنا آسف بشأن سمكة الفلوندر."

قال رجل الكركي: "آه يا صديقي، لا بد أنك تقصد 'أنا آسف بشأن ساقك'. لأن هذا هو سبب عشاءنا الخالي من السمك اليوم. لكنني أعتقد أنه من العبث أن نقضي وقتًا طويلًا في الحزن على شيء لا نستطيع تغييره." تأوه رجل الكركي وهو ينهض، ثم اتكأ على العكاز الجديد ليختبره.

بعد أن اطمأن، أومأ برأسه نحو تري-إير. "إضافة إلى ذلك، عندما أغادر هذا العالم، ستكون لدي ساقان سليمتان ولن أحتاج إلى شيء كهذا." ثم نقر على العكاز بيده الحرة.

لا يزال تري-إير غاضباً من نفسه، وتمتم بنصف همسة: "بعضنا سيكون لديه أربع أرجل جيدة."

بدأ تري-إير بالاحتجاج. "لا، ليس أنت—" ثم توقف وابتسم. "حسنًا، ربما،" قال واضعًا يده على ذقنه في وضعية تفكير عميق. "أرنب، على ما أعتقد. ذكي جدًا وسريع—"

"من الأفضل أن تكون سريعًا الآن!" صاح رجل الكركي بغضب مصطنع، ملوحًا بعكازه كسيف. بدأ تري-إير يقفز في جحره الصغير كالأرنب، متفاديًا طعنات رجل الكركي وضرباته، ناسياً خجله للحظة، إذ انتهى اليوم بالضحك.

في الصباح، ظهر تري-إير على باب مين قبل أن يرن جرس المعبد. وكما كان يأمل، كانت زوجة مين هي التي أجابت على ندائه.

مدّ وعاءً من القرع وانحنى برأسه.

قال: "لقد أحضرتُ وعاءي الخاص اليوم، حتى لا أزعج زوجة الخزّاف الكريم". كانت خطة تري-إير أن يأكل نصف طعامه فقط، ويترك الوعاء مخبأً في مكان ما، ويأخذ النصف الآخر إلى منزله ليُحضره إلى كرين-مان في نهاية اليوم.

أومأت زوجة مين برأسها وأخذت الوعاء منه، لكنه لاحظ نظرة الحيرة في عينيها. في اليوم السابق، أعاد إليها الوعاء وعيدان الطعام بعد غسلهما وتجفيفهما؛ من الواضح أنه لم تكن هناك حاجة لأن يحضر وعاءه الخاص.

أدار تري-إير وجهه، وشعر بالذنب كظلٍّ يخيّم على جبينه، وتمنى بشدة ألا يكون قد أساء إليها. "أنا لا أخدع أحدًا حقًا"، قال لنفسه. "ولم أطلب المزيد من الطعام - لا ينبغي أن يهمها أي وعاء..."

أعاد تري-إير آخر حمولة من الطين إلى منزل مين. وكالعادة، لم يكن الخزّاف موجودًا في نهاية اليوم، فترك تري-إير العربة مركونة تحت السقف وذهب ليحضر النصف المتبقي من وجبة غدائه.

استعاد تري-إير أنفاسه. لم يكن وعاء القرع تحت شجرة الباولونيا حيث تركه. فتش المنطقة المحيطة بالشجرة. كان الوعاء مغطى بقطعة قماش مثقلة بالحجارة. ها هي قطعة القماش، عالقة في شجيرة - وهناك، على بعد خطوات قليلة داخل الأحراش، الوعاء.

فارغ. ليس فارغاً فحسب، بل نظيفاً تماماً...

تفاقمت خيبة الأمل داخل تري-إير حتى شعر أنه سيضطر إلى إطلاقها في عواء يشبه عواء الذئب. بدلاً من ذلك، التقط الوعاء ورماه بعيدًا قدر استطاعته في الأدغال.

"آه!" صرخةٌ مفاجئةٌ انطلقت من مكانٍ ما بين الشجيرات الكثيفة، أرعبت تري-إير وأسقطته أرضًا. خرجت زوجة مينٍ من خلف شجيرةٍ متشابكة، تحمل وعاءً في يدٍ وسلةً في الأخرى. كانت السلة مليئةً بالتوت، الذي يبدو أنها كانت تجمعه من سفح الجبل.

ومرة أخرى، فشل في مشاركة طعامه مع رجل الكركي. وفوق كل ذلك، بدا أنه كاد يصيب زوجة سيده بوعاء طعامه على رأسها.

مرّت ليلتان كاملتان منذ أن بدأ تري-إير العمل لدى مين، لكن بدا له الأمر وكأنه عام أو أكثر. شعر أحيانًا أنه بالكاد يتذكر كيف كانت حياته قبل ذلك. اكتسبت الأيام إيقاعًا، وانتظامًا وجده مريحًا وموثوقًا. كان يستيقظ باكرًا، ويعمل لدى مين، ويتناول نصف عشائه، ثم يعود للعمل، ثم يعود إلى الجسر عند الغسق.

في محاولةٍ منه لردع الحيوانات البرية عن التهام النصف الآخر من طعامه أثناء عمله، دأب تري-إير على إخفائه بالقرب من المنزل. في زاويةٍ بعيدة من فناء مين، حفر حفرةً صغيرةً تكفي بالكاد لوضع الوعاء، ووجد صخرةً مسطحةً

كبيرةً قريبةً ليستخدمها كغطاء. بدا الأمر غير ملفتٍ للنظر، وسُرّ عندما وجد الطعام سليمًا في المرة الأولى التي أخفاه فيها هناك. ومنذ ذلك الحين، أصبح قادرًا على إحضار العشاء لرجل الكركي كل ليلة.

التوفو الليلة"، كان رجل الكركي يقول وعيناه تلمعان. "مع كيمتشي" الخيار أيضاً. مزيج رائع حقاً. توفو طري - خيار مقرمش. توفو عادي - خيار حار. تلك المرأة فنانة".

بعد عدة أيام من بدء استخدامه للمخبأ الجديد، اكتشف تري-إير شيئًا غريبًا. كعادته، كان قد تناول نصف وجبته في منتصف النهار. وعندما استعاد الوعاء بعد انتهاء يوم عمله، فكّ القماش كما يفعل دائمًا، ليتفقد محتويات الوعاء.

امتلأ الوعاء مرة أخرى.

حدّق تري-إير بدهشة. نظر نحو المنزل، لكن لم يكن مين ولا زوجته في الأفق. وفي كل مساء بعد ذلك، كان يعود ليجد الوعاء ممتلئًا، وفيه ما يكفي من العشاء له ولرجل الكركي.

كان تري-إير يتعلم مهارة جديدة الآن، وهي تجفيف الطين. كانت عملية شاقة، لكنها جذبت انتباهه.

ثم جُمعت الحمأة وصُبت عبر منخل في حفرة مجاورة. وقد أدى الغربلة إلى فصل الحصى الصغيرة والشوائب الأخرى. وأخيرًا، تُرك الطين ليستقر لبضعة أيام حتى يتسرب الماء من السطح أو يُمكن إزالته بالكيّ.

كان مين يعصر حفنات من الطين النقي، أو يفركه بين أصابعه. وكان يفعل ذلك عادةً وعيناه مغمضتان - لكي يشعر به بشكل أفضل، كما افترض تري-إير.

لم يسأل، لأن مين كان يفضل العمل بأقل قدر ممكن من الكلمات. كان الخزّاف يُصدر أوامر مقتضبة، وكان تري-إير يكافح لتنفيذها بأي وسيلة متاحة له - مراقبة مين، ومراقبة الخزّافين الآخرين، والتجربة. لم يكن يعرف لماذا لم يشرح مين الأمور بتفصيل أكبر؛ فغالبًا ما كانت أخطاء تري-إير تُكلّف وقتًا ثمينًا أو تُهدر طينًا ثمينًا. ثم كان مين يصرخ أو يُوبّخ بينما يُحدّق تري-إير في أصابع قدميه خجلًا، وفي أغلب الأحيان، استياءً.

لكن منذ ذلك اليوم الأول الذي ألحق فيه تري-إير الضرر بالصندوق، لم يرفع مين يده عليه قط. وخلال التوبيخات الأولى، كان تري-إير يستعد للضرب المبرح الذي سيتبع ذلك حتماً، مثل ذلك الذي تعرض له عندما ضُبط وهو ينبش في كومة قمامة. لكن ذلك لم يحدث، لا حينها ولا في أي وقت آخر، حتى في ذروة غضب مين وازدرائه.

كانت عملية التصريف القصوى مخصصةً لصنع طلاء السيلادون. ولذلك، قد لا تكفي ست عمليات تصريف. كان تري-إير أحيانًا يرغب في الصراخ وضرب الطين بقبضتيه من شدة الإحباط عندما كان مين يشير فجأةً بإشارةٍ لتكرار العمل مرةً أخرى.

كان الطين المستخدم في التزجيج يُخلط بنسب دقيقة مع الماء ورماد الخشب. لا بد أن هذا المزيج كان نتيجة صدفة سعيدة في الماضي البعيد. ربما سقط الرماد ذات مرة على مزهرية مزججة عادية في الفرن، فنتجت بقع من

اللون السيلادوني الشفاف. أما الآن، فيستخدم الخزافون رماد الخشب عمدًا، ولكل منهم وصفته السرية الخاصة، لإنتاج هذا التزجيج المرغوب.

كم كان الخزافون فخورين بلونه! لم يستطع أحد تسميته تسميةً مُرضية، فمع أنه كان أخضر، إلا أن ظلالاً من الأزرق والرمادي والبنفسجي كانت تتسلل تحته، كما في البحر في يوم غائم. امتزجت الألوان المختلفة ببعضها حيث تجمعت طبقة التزجيج بكثافة في الشقوق أو لمعت برقة على الأسطح المرتفعة للتصميم المحفور. في الواقع، سمّى عالم صيني شهير ذات مرة اثنتي عشرة عجائب صغيرة من عجائب الدنيا؛ إحدى عشرة منها صينية، والثانية عشرة كانت لون خزف السيلادون الكوري! تعلّم أطفال تشولبو هذه القصة قبل أن يخطوا خطواتهم الأولى.

لكن بعد تكرار العملية ثلاث مرات، لم تُحدث عمليات التصريف اللاحقة أي فرق، على الأقل بالنسبة لتري-إير. كان يُغمض عينيه بشدة، ويحبس أنفاسه، ويفرك الطين بين أصابعه، محاولًا يائسًا اكتشاف أي اختلاف في عملية التصريف الخامسة أو السادسة. ما الذي شعر به مين؟ لماذا لم يستطع تري-إير الشعور به بنفسه؟

لم يُبدِ مين أي رضا عن عمل تري-إير. كان ببساطة يلتقط كرة من الطين وينطلق بها نحو المنزل. أما تري-إير فكان يبقى ليُشرف على عملية التجفيف، مُستسلمًا وحسوداً لعلمه أن مين يأخذ الطين إلى دولاب الخزف.

في الماضي، كان الإصغاء إلى أحاديث القرية مهارةً أساسيةً لـ"تري-إير". فمثلاً، كان خبر الزفاف يعني أن عائلة العروس ستُعدّ الكثير من الطعام في الأيام التي تسبق الحفل، وأن كومة القمامة ستستحق عنايةً خاصةً خلال تلك الفترة. كما أن ولادة ابن، ووفاة كبير العائلة، تؤثر أيضاً على حالة نفايات المنزل.

كان تري-آير يتنقل بين أكوام القمامة، ويتوقف عند كل منزل تقريبًا في القرية، ويستمع إلى مقتطفات من أحاديث الناس على طول الطريق، وبهذه الطرق أدرك مكانته المتواضعة، فالناس كانوا يتجاهلون وجوده تمامًا، وفي المناسبات النادرة التي كانوا يلاحظونه فيها، كانوا يتحدثون وكأنه غير موجود. كان يحمل معه شذرات الأخبار إلى كرين-مان، ليناقشا كيف يمكن لهذه المعلومات أن تُسهم في إعداد وجبة أفضل.

كثيراً ما كان رجل الكركي يمزح بشأن ذلك. "يا ذو الأذن الشجرية! ها أنت ترى مرة أخرى مدى ملاءمة اسمك. أنت مثل آذان شجرة صغيرة هزيلة، لا يلاحظها أحد إلا وهي تسمع الجميع!"

صحيح، وقد خدمت هذه القدرة التي يتمتع بها تري-إير بشكل جيد في حياته الجديدة كمساعد لمين.

"شهرين لصنع مزهرية واحدة."

"ثمن إحدى مزهريات مين هو ثوران وحصان وابنك البكر!"

وهكذا كان الخزافون الآخرون، ومتدربوهم، وبعض القرويين يتحدثون عن مين - عادةً ما يكون ذلك على سبيل المزاح، ولكن أحيانًا بسخرية خفية تخفي وراءها نبرة المزاح. شيئًا فشيئًا، أدرك تري-إير أن معلمه كان معروفًا ببطئه في العمل، وبسعره الباهظ. ولأنه كان يعمل ببطء شديد، كان يصنع قطعًا أقل بكثير من الخزافين الآخرين، وبالتالي كان عليه أن يبيع كل قطعة بسعر أعلى.

اشتهرت أعمال مين بجمالها الفائق، ولكن لم يكن الكثيرون قادرين على شرائها.

تعلّم تري-إير المزيد دون أن يُعلّم، فقد كان مين في شبابه من أنجح الخزافين في تشولبو، لكن إصراره على الكمال كلفه الكثير من الطلبات المجزية. سئم المشترون من انتظار أعمال تُنجز بعد أشهر من الموعد النهائي، وفي النهاية اتجهوا إلى غيره. صحيح أن هناك من كان مستعدًا للانتظار للحصول على إحدى إبداعات مين، لكن عددهم كان يتناقص عامًا بعد عام.

قبل كل شيء، كان ما يحتاجه مين هو تكليف ملكي. الأواني اليومية لأهل بيت الملك؛ والتحف الفنية المعروضة في القصر ومعابده؛ والأهم من ذلك كله، الهدايا المرسلة إلى الخارج كرمز للسلام والاحترام لأعظم دولة في العالم - الصين... كانت هذه تُعتبر أثمن الأعمال، وتُكافأ بسخاء. كان التكليف الملكي حلم كل خزاف، لكن تري-إير شعر بطريقة ما أنه كان أكثر من مجرد حلم بالنسبة لمين. لقد كان رغبة حياته.

أزهرت أشجار البرقوق، وتساقطت بتلاتها كالثلج، تاركةً وراءها أزرارًا خضراء صغيرة تختبئ بخجل بين الأوراق. وبينما كان "تري-إير" يتعلم قطع الطين وتصريفه، انتفخت الأزرار الصغيرة واكتسبت لونًا أرجوانيًا حتى سقطت أنضجها على الأرض، حيث كان "كرين-مان" يقفز هنا وهناك ليجمعها، وقد ربط طرف سترته ليصنع منها كيسًا.

في أواخر ذلك الصيف، كان لدى تري-إير وكرين-مان دائمًا ما يكفيهما من الطعام، إذ لم يفشل وعاء العشاء شبه الفارغ أبدًا في أن يصبح وعاءً ممتلئًا. وقد راودت تري-إير ذات مرة رغبة في التهام كل الطعام في منتصف النهار، لعلمه في قرارة نفسه أن الوعاء سيُملأ من جديد. لكن مجرد التفكير في الأمر أرعبه. ما أسرع ما يصبح المرء جشعًا! وكان يعلم دون أن يسأل أن كرين-مان سيرفض ذلك. قد يقول: "استغلال لكرم الآخرين".

بدلاً من ذلك، فكر تري-إير ملياً في كيفية شكر زوجة مين. شعر بالخجل لقلة ما يمكنه فعله. في المناسبات النادرة التي كان مين يسمح له فيها بالانصراف مبكراً، كان يبقى في المنزل، باحثاً عن أعمال بسيطة يقوم بها - كإزالة الأعشاب الضارة من حديقة الخضراوات أو كنس الفناء. وكان يحرص دائماً على ملء برميل الماء من الجدول قبل أن يغادر ليلاً. كان إحباطه من ضآلة شكره أشبه بأزيز ذبابة صغيرة لكنها مستمرة في أفكاره.

في طريقه إلى منزل مين في صباح أحد الأيام، بينما كانت أشجار البرقوق تكتسي حلتها الذهبية والقرمزية الخريفية، لمح تري-إير الخزّاف كانغ وهو يدفع عربةً نحو موقع الفرن. كانت العربة مغطاةً بقطعة قماش. أثار هذا الأمر اهتمام تري-إير؛ فالطلبات العادية - كصنع مجموعة من أوعية منزلية مثلاً - لا تستدعي مثل هذا الحذر. لا بد أن كانغ كان يُشعل شيئًا مميزًا في ذلك اليوم.

علاوة على ذلك، فإن وجود كانغ على الطريق في وقت مبكر يعني أنه كان يرغب في الوصول إلى الفرن قبل أي شخص آخر. سيزحف إلى نفق الفرن ويدفع عمله إلى أقصى نهايته - وهو إجراء احترازي آخر ضد أعين الفضوليين.

وقف تري-إير للحظة، ذراعاه متقاطعتان وجبينه عابس. بدا أنه من الجيد زيارة الفرن عندما تنتهي هذه الشحنة من الحرق.

على مدى الأيام القليلة التالية، وبينما كان تري-إير يتنقل في أرجاء القرية ذهابًا وإيابًا من العمل أو لقضاء حوائج مين، أبقى عينيه مفتوحتين بحثًا عن كانغ. وقد كوفئ على يقظته في اليوم الرابع. انحنى تري-إير بجانب كومة قمامة كانغ - وهو مكان يعرفه جيدًا - وراقبه وهو يخرج من كوخه الزراعي في وقت مبكر من ذلك المساء حاملًا وعاءين صغيرين.

أمسك كانغ بالوعاءين بحرص، كما لو كانا ممتلئين تمامًا. وبينما كان يركز عليهما، تعثر بحجر في طريقه. انسكب محتوى الوعاءين قليلًا، فلعن كانغ بصوت عالٍ سمعه تري-إير. ثم اختفى داخل المنزل.

انتظر تري-إير لحظة أخرى قبل أن يتسلل إلى المكان الذي تعثر فيه كانغ في الفناء. وفي ضوء الغروب الخافت، فحص الانسكاب عن كثب.

الطين، الممزوج بكمية كافية من الماء ليصبح شبه سائل: أطلق عليه الخزافون اسم "الطين السائل". لا شيء غير عادي في ذلك. لكن شيئًا واحدًا حيّر تري-إير.

وعاءان، لونان مختلفان من الطلاء. أحمر طوبي وأبيض.

انسحب تري-إير من الفناء وهو يفكر مليًا. لا شك أن هناك أماكن على طول ضفة النهر حيث كان الطين بألوان مختلفة. لكن ما كان يبحث عنه الخزافون هو الطين الرمادي المائل للبني الذي يندمج جيدًا مع طلاء السيلادون. يتغير لون كل من جسم الإناء وطلاءه عند حرقه؛ فالإناء الذي يدخل الفرن بلون باهت يشبه لون الفأر يخرج بلون أخضر شفاف رائع.

كان تري-إير يعلم أن الخزافين يحاولون أحيانًا رسم تصاميم على أعمالهم باستخدام الطلاء الملون. لكن هذه المحاولات كانت بعيدة كل البعد عن النجاح. فعند التزجيج والحرق، كان الطلاء يتلاشى أو يسيل، مما يجعل حواف التصميم غير واضحة بدلًا من أن تكون دقيقة وواضحة. بين الحين والآخر، كان الخزاف عديم الخبرة يجرب حظه في رسم قطعه، لكن الخزافين الأكثر مهارة، ومن بينهم مين وكانغ، كانوا قد تخلوا منذ زمن طويل عن تجربة هذه التقنية.

لم يصدق تري-إير أن كانغ كان يرسم لوحاته، ولكن ماذا يمكن للمرء أن يفعل بكميات صغيرة من الطلاء الملون؟ وبينما كان يسير عائداً إلى منزله

ذلك المساء، لم يجد إجابة وسط الآسئلة التي كانت تتزاحم في ذهنه كسمكة.

استمرت دوامة العمل التي لا تنتهي لمين: تقطيع الحطب، ونحت الطين، وتجفيفه. أحيانًا كان يحدث انحراف بسيط عن مساره، كما حدث عندما أرسله مين إلى الشاطئ لجمع الأصداف. كانت تُستخدم كدعامات في الفرن، لرفع الإناء بعيدًا عن قاعدة الطين التي يُحرق عليها، حتى لا يلتصقا ببعضهما. كان لا بد أن تكون الأصداف ذات شكل وحجم دقيقين. عاد تري-إير بسلة مليئة بالأصداف، رفض مين معظمها، ثم أرسله مرة أخرى ليجلب المزيد.

ستكون مزهرية برقوق - وهي أكثر الأشكال أناقة. طويلة ومتناسقة بشكل جميل، ترتفع من قاعدتها لتتسع برشاقة ثم تستدير إلى فوهتها، وقد صُممت مزهرية البرقوق لغرض واحد - عرض غصن واحد من البرقوق المزهر.

كان تري-إير يعشق تناسق مزهريات البرقوق التي كانت تُصنع على دولاب مين. ذات مرة، في ربيع ذلك العام خلال أيامه الأولى مع مين، شاهد الخزّاف وهو يضع غصن برقوق في مزهرية جاهزة ليُقيّم شكلها.

انحناءات المزهرية الرقيقة، ولونها الأخضر الغامض. زوايا أغصان البرقوق الحادة، وسوادها الصارخ وسط الأزهار البيضاء الرقيقة. عمل إنسان، وعمل الطبيعة؛ طين من الأرض، وغصن من السماء. انتشر نوع من السلام في جسد تري-إير وعقله، كما لو أنه بينما كان ينظر إلى المزهرية وغصنها، لم يكن هناك ما يمكن أن يسوء في العالم.

***

كانت هناك أوقات، خاصةً في نهاية اليوم، كان تري-إير يعتقد فيها أنه لا يستطيع جمع رأس واحد إضافي. كان يفكر: "لست بحاجة إليه الآن". ولكن إلى جانب هذا التفكير، كان يتبادر إلى ذهنه فكرة أخرى: "من يدري إلى متى سيطلب مني مين العمل؟" فيضاعف جهوده.

كان رجل الكركي مشغولاً أيضاً. عندما كان يتعب من جمع الأرز، كان يجلس على حافة الحقل يضفر حفنات من قش الأرز ليصنع منها حصراً وصنادل. كانت هذه مهارة تعلمها بنفسه منذ زمن بعيد، إذ لم يكن قادراً على القيام بأعمال أكثر إرهاقاً بسبب ساقه المصابة.

صنع رجل الكركي صندل تري-إير أولاً، قائلاً إن الصبي كان في أمس الحاجة إليه بسبب عمله. قاس قدمي تري-إير بدقة، ثم جدل عدة طبقات من القش لصنع النعل السميك والمتين. وتم لف المزيد من القش ونسجه ببراعة لتشكيل الجوانب.

"انتهيت!" صاح رجل الكركي ذات مساء، وهو يضع القشة الأخيرة بينما يخفت آخر ضوء الشتاء. ناول الرجل زوج الصنادل إلى تري-إير، الذي انحنى شاكراً وانحنى ليرتديها على الفور.

تمتم رجل الكركي لنفسه بضجر، ثم بحث في حيبه عن الخيط المتسخ الذي استخدمه لقياس قدمي تري-إير. قارنه بنعل الصندل؛ كان مطابقًا تمامًا.

استهزأ وقال: "هيه! إذن، لم أخطئ في صنعك. أنت يا صديقي الصغير، كنتَ طائشًا لدرجة أنك كبرت في الشهر الماضي!"

كان ذلك صحيحًا؛ فقد لاحظ تري-إير نفسه في ذلك اليوم بالذات، عندما اصطدم رأسه بجزء من الجسر كان يستطيع الوقوف تحته من قبل. ورغم المزحة، هز تري-إير رأسه بحسرة على عمل كرين-مان الضائع.

وأثارت الصنادل قلقًا اخر. ففي مثل هذا الوقت من كل عام، كان الرهبان ينزلون من معبدهم الجبلي لجمع عُشر الأرز. وأحيانًا كانوا يقبلون تبرعات أخرى، كالملابس الشتوية، وكان تري-إير يترقب احتمال أن يُهدي أحد الرهبان هذه الملابس للفقراء. وبهذه الطريقة، كان تري-إير غالبًا ما يجمع ملابس شتوية لنفسه ولرجل الكركي.

لم يظهر الرهبان هذا العام. ربما كان هناك مرض في المعبد، أو حدث طارئ آخر حال دون قدومهم، ولكن مهما كان السبب، فقد بدأ تري-إير يشعر بالقلق على صديقه. لطالما عانى كرين-مان من البرد، وقد أصبحت الليالي باردة بالفعل.

خلال فصل الشتاء، لجأ الصديقان إلى كوخ محفور في الأرض على أطراف القرية. كانت المزرعة التي كانت قائمة هناك قد احترقت منذ زمن بعيد، لكن حفرة الخضراوات بقيت. كان المزارعون يخزنون الخضراوات لاستخدامهم المنزلي في حفر بحجم غرفة. هذه الحفرة، كغيرها، كانت مزودة بمنحدر يسمح بالدخول. كان بإمكان الرجل ذو الكركي أن يقف منتصبًا في الحفرة ورأسه لا يزال تحت مستوى الأرض. غطى الصديقان الحفرة بأغصان الأشجار والقش. وفرش الرجل ذو الكركي أرضيتها بفرشه.

كان تري-إير يكره ليالي الحفرة الباردة. مع أنه كان يعلم أن النوم بعيدًا عن الرياح أفضل، إلا أن وجوده تحت الأرض جعله يشعر ببردٍ أشد. كما كان يشعر بالاختناق أيضًا، على عكس الجسر حيث كان النهر يذكّره باستمرار بالأماكن البعيدة. لولا وجود كرين-مان، لما استطاع تري-إير تحمل ليالي الشتاء الطويلة.

لن نبقى هنا طويلاً"، كان رجل الرافعة يقول كل عام. "أسوأ ما في" الشتاء، ذوبان الثلوج، فيضان الربيع. ربما قمران، وسيرحب بنا الجسر عند "!عودتنا

***

قالت بحدة: "يا لك من أحمق!". نظر إليها بدهشة، متسائلاً عما فعله من خطأ. ثم رأى أنه على الرغم من أن فمها كان صارماً، إلا أن عينيها كانتا تلمعان.

""كيف يمكنك العمل بجدٍّ لدى الخزّاف الكريم وأنت ترتجف من البرد؟" وبّخته. مدت إليه شيئًا داكنًا وناعمًا، فنهض تري-إير من قوسه ليأخذه منها. اتسعت عيناه دهشةً.

كانت سترة وسروالاً مصنوعين من القطن الثقيل، مبطنين ومحشوين - من أدفأ الملابس. أخذت زوجة مين السترة ورفعتها أمامه.

قالت وهي ترفع حاجبيها: "هذا المقاس مناسب تمامًا". أدرك تري-إير ما هو متوقع منه، فمدّ يده وارتدى السترة. شعر بدفءٍ لذيذٍ يغمره؛ لا بد أن زوجة مين كانت تُدفئ السترة بجانب المدفأة في الداخل.

جيد." أومأت برأسها، وبدت وكأنها تتردد للحظة، ثم تحدثت بهدوء. "توفي" ابننا، هيونغ غو، بسبب الحمى عندما كان في مثل عمرك تقريبًا،" قالت. "هذه الملابس صنعتها له، لكنه لم يرتديها قط."

حاول تري-إير كتم دهشته، لكنه كان متأكدًا من أنها بدت واضحة على وجهه. مين، أب؟ يكاد يكون الأمر مستحيلاً. لم يستطع تري-إير تخيل مين في أي شيء آخر غير عمله. فكرة أنه ربما كان لديه ابن في يوم من الأيام...

قال: "أتقدم بجزيل الشكر لزوجة الخزّاف الكريم". أومات برأسها مرة أخرى واختفت داخل المنزل.

خرج مين في اللحظة التالية. نظر إلى تري-إير وهو يرتدي سترته الجديدة. حبس تري-إير أنفاسه، متسائلاً عن شعور مين... ملابس ابنه على يتيم فقير. تمتم الخزّاف قائلاً: "إنها فكرتها، وليست فكرتي"، وأشار إلى تري-إير ليبدأ عمله.

طوال اليوم، ظلّ تري-إير يشدّ أكمام سترته، التي كانت أطول قليلاً من اللازم بالنسبة له. وقد جعله ذلك يشعر بحرارة شديدة، إذ اعتاد العمل الشاق مرتدياً سترته الخيشية الخفيفة.

وهكذا ولدت الفكرة. من المفترض أن تناسب السترة رجل الكركي بشكل جيد.

وارتدى السترة بالفعل، مما أسعد رجل الكركي. في البداية رفضها، قائلاً إنها مخصصة لشجرة الأذن. لكن شجرة الأذن أصرت، بعد أن فكرت في الأمر طوال الطريق إلى المنزل. هل من الخطأ التخلي عن هدية تلقاها للتو؟ إنها هدية، كما جادل نفسه، مما يعني أنها أصبحت ملكه الآن ليفعل بها ما يشاء - أن يرتديها أو يهديها. فكر في زوجة مين، وقرر أنه لن يزعجها إذا اختار أن يهدي السترة لصديقه.

كان إقناع رجل الكركي مسألة أخرى. قال تري-إير بحزم، وهو يومئ برأسه نحو الحذاء غير المكتمل في يدي رجل الكركي: "إذا لم ترتدِ السترة، فلن أرتدي الصندل الجديد".

كان البنطال قصيرًا جدًا على رجل الكركي، فارتداه رجل الأذن الشجرية. تفحّص كل منهما الآخر، إذ بدت ملابسهما الجديدة متناقضة تمامًا مع الخرق الأخرى التي كانا يرتديانها. انفجر رجل الكركي ضاحكًا: "نبدو غريبين كلٌ على حدة، لكننا معًا نبدو أنيقين كأي رجل!"

وكان لا يزال يضحك بينما كان تري-إير يقدم العشاء من وعاء القرع.

لفت انتباه تري-إير ضوء مصباح خافت بينما كان عائدًا إلى الحفرة من منزل مين ذات مساء، مرتاحًا في سرواله الجديد. كانت الأيام قصيرة جدًا لدرجة أنه كان يعود دائمًا إلى المنزل في الظلام. كان الضوء قادمًا من الحظيرة خلف منزل كانغ. توقف تري-إير في منتصف خطوته. ضوء، مرئي من حظيرة بلا نوافذ - لا بد من وجود ثقب أو شق في مكان ما...

كان الإغراء كبيرًا جدًا. تسلل تري-إير بصمت فوق الأرض المتجمدة، وسار بمحاذاة جدار الحظيرة، وبعد نظرة سريعة حوله، انحنى ليضع عينه على ثقب عقدة بمستوى الكتف.

أمامه وعاءان من الطين الأحمر والأبيض، ومصباح زيتي خلفهما، جلس كانغ في وضع جانبي بالنسبة لتريير، مستخدمًا دولابه كطاولة عمل. كان يعمل على كأس نبيذ صغير. وبمخرز نقش، نقش على الطين شبه الجاف تصميمًا بسيطًا لزهرة أقحوان، أبسط بكثير من أعمال النقش المعقدة التي اشتهر بها خزافو تشولبو. ولكن بدلًا من تحديد البتلات بالطريقة المعتادة، كان كانغ يزيل الطين ليترك تجاويف على شكل دمعة.

نظر كانغ إلى عمله بتمعن، ثم وقف وأعاد الأدوات إلى الرف. أدرك تري-إير فجأة أن الخزّاف قد انتهى من عمله لهذا اليوم وسيخرج من الكوخ بعد

لحظات. نظر حوله بحذر ثم عاد مسرعًا إلى الطريق.

كانت رقبة وكتفا تري-إير متشنجتين من الانحناء في وضعية واحدة لفترة طويلة. وبينما كان يسرع في طريقه، هز كتفيه ليريح عضلاته المتصلبة. لكن كان من الممكن أن يكون قد تجاهل ما رآه تمامًا.

في الأيام التالية، كان تري-إير يزور الفرن كل مساء محاولًا إلقاء نظرة خاطفة على كأس النبيذ الغامض الخاص بكانغ بعد حرقه. حتى أنه صادف ذات مرة ابن كانغ عند الفرن، وهو يُخرج الأواني المحروقة ويحملها على عربة. تظاهر تري-إير بالإعجاب وهو يتفحص الأواني عن كثب. كانت من السيلادون العادي - لا أثر لزهرة الأقحوان الصغيرة الغريبة. ومع ذوبان الثلوج، لم يكن تري-إير قد رآها بعد.

في إحدى الأمسيات، وبينما كان عائدًا من الفرن، لاحظ تجمع عدد من الرجال والفتيان حول متجر النبيذ. في كل ليلة، كان يأتي عدد قليل منهم لتناول مشروب أو اثنين، لكن في تلك الليلة كان العدد كبيرًا لدرجة أن المتجر لم يتسع للجميع. بدا على المجموعة الحماس لشيء ما، فنادى عليه أحد الفتيان.

تفاجأ تري-إير بالتحية. لطالما نبذه أطفال تشولبو الآخرون، فاليتامى يُعتبرون نذير شؤم. كان الأطفال يتنحون جانبًا عندما يقترب، وكثيرًا ما كان الصغار يختبئون خلف تنانير أمهاتهم. منذ أن بدأ العمل لدى مين، تقبّل مساعدو الخزافين الآخرون وجوده، لكن التحية الودية كانت لا تزال نادرة. لا بد أنها أخبار مهمة حقًا.

تجوّل تري-إير بين جموع الناس، يلتقط بعض الكلمات وهو يستمع. ومع انقضاء عواصف الشتاء، فُتحت طرق التجارة البحرية من جديد. وصل قارب إلى تشولبو بعد ظهر ذلك اليوم؛ وحمل ركابه نبأ أن مبعوثًا ملكيًا سيكون مسافرًا على متن قارب آخر سيبحر في الشهر التالي. سيتجه المبعوث إلى تشولبو، ثم إلى منطقة كانغجين، وهي منطقة تشتهر بصناعة الفخار تقع جنوبًا.

تشولبو وكانغجين! لا يمكن أن تعني الوجهتان إلا شيئًا واحدًا: المبعوث الملكي كان في جولة لتكليف صناع الفخار للقصر!

شرب الرجال وتجول الصبية، وكلهم يتكهنون بعدد المهام التي ستُسند إليهم. متوترون، خائفون، هادئون، مطمئنون - مهما كانت طبيعة الفرد، كان الأمل يتردد صداه على وجوه كل رجل، مع أن أحداً لم يتحدث عن رغبته.

رأى تري-إير كانغ في زاوية من متجر النبيذ، جالساً وقد مدّ ساقيه ووضع يديه خلف رأسه. كان يستمع، قليل الكلام، وعيناه نصف مغمضتين وابتسامة خفيفة على وجهه، بدا كانغ وكأنه رجل يخفي سراً.

***

وأخيراً، وخزه رجل الكركي. وسأله بانفعال: "ما هو الشيطان الذي يخدش جلدك الليلة؟ يبدو أنه مصمم على منعنا من النوم."

نهض تري-إير، وضم ركبتيه إليه، ولف ذراعيه حولهما طلباً للدفء. وقال: "شيطان الأسئلة."

نُهض رجل الكركي أيضًا. "حسنًا، فلنسمعها إذن. ربما إذا طُرح السؤال وأُجيب عليه، سيتركك الشيطان بسلام، وستتمكن من النوم."

تحدث تري-إير ببطء: "إنه سؤال عن السرقة". توقف للحظة، ثم بدأ يتحدث، ثم توقف مرة أخرى. وأخيراً، "هل تُعتبر سرقةً أن تأخذ من شخص

"اخر شيئا لا يمكنك حمله بين يديك؟
آه! ليس مجرد سؤال، بل هو سؤال أشبه باللغز. ما هذا الشيء الذي لا" "يمكن الإمساك به؟
".فكرة. طريقة لفعل شيء ما"
".طريقة أفضل من تلك التي يستخدمها الآخرون الآن"
".نعم. إنها طريقة جديدة، طريقة قد تؤدي إلى شرف عظيم"
استلقى رجل الكركي مجدداً. ظل صامتاً لفترة طويلة حتى ظنّ تري-إير .أنه قد غلبه النعاس. تنهد تري-إير واستلقى هو الآخر، غارقاً في التفكير
كان عمل مين متفوقًا بكثير على عمل كانغ. كان الجميع في تشولبو يعلمون ذلك، وقد رآه تري-إير بنفسه. كان عمل كانغ متقنًا، وأوانيه ذات شكل .جميل وطلاء زجاجي رائع. لكنه كان يفتقر إلى الصبر

لذا، عندما كان مين يصنع قطعة مميزة، لم يكن يُحضّر قطعة واحدة فحسب، بل عدة قطع، قد تصل أحيانًا إلى عشر. كانت القطع متطابقة عند دخولها الفرن، لكنها تخرج بألوان مختلفة قليلاً. إذا سارت الأمور على ما يرام، قد تتألق قطعة أو اثنتان باللون الأخضر الشفاف المطلوب؛ أما البقية فتكون باهتة أو أقل وضوحًا. والأسوأ من ذلك، أن بعض القطع كانت تحتوي غالبًا على بقع بنية هنا وهناك، أو حتى مسحة بنية عامة، مما يُفسد نقاء الطلاء. لم يكن أحد يعرف سبب حدوث ذلك، لذا كان صنع عدة قطع متطابقة هو أفضل .ضمانة لضمان أن واحدة على الأقل ستُحرق بلون أخضر سيلادون نقي
لم يكن عمل مين بطيئًا في البداية فحسب، بل صنع نسخًا أكثر من أي خزّاف آخر. افتقرت قطع كانغ إلى دقة مين في الصنع وحرصه في الحرق. قد لا يلاحظ غير الخبير فرقًا كبيرًا بين عمل الرجلين، لكن في تشولبو، كانت كل .عين خبيرة
وكان تري-إير متأكدًا من أن عين المبعوث ستكون بنفس القدر من الدقة. فالقصر لن يرسل إلا خبيرًا - خبيرًا حقيقيًا - لتولي مهمة تكليف العمل. فكرة كانغ هذه، استخدام الورقة الحمراء والبيضاء... هل يمكن أن تكون جديدة وجميلة إلى هذا الحد بحيث تعني تكليفًا؟ إذا كان الأمر كذلك بالفعل، فلم يكن لدى تري-إير أدنى شك في أن مين يمكنه استخدام هذه العملية بفعالية أكبر .بكثير

.أثار صوت رجل الرافعة دهشة تري-إير
إذا احتفظ رجل بفكرة لنفسه، وسُرقت تلك الفكرة خلسةً أو خداعاً،" فأقول إنها سرقة. ولكن بمجرد أن يكشف الرجل عن فكرته للآخرين، فإنها لم ".تعد ملكاً له وحده، بل أصبحت ملكاً للعالم أجمع
لم يرد تري-إير. استلقى ملتفاً على جانبه، يستمع إلى تنفس كرين-مان .وهو يتباطأ وينتظم في إيقاع النوم
انبثقت صورة من الظلام إلى ذهن تري-إير – صورة لنفسه وعيناه مثبتتان .على ثقب عقدة سقيفة كانغ
.التخفي
.لم يكن بإمكانه بعد إخبار مين بفكرة كانغ

لم تختلف أنشطة تري-إير في الأيام التالية عما كانت عليه طوال الأشهر الماضية. استمر مين والخزافون الآخرون في صناعة الأواني، ونقشها

بالرسومات، وتزجيجها، وحرقها، ورفض بعضها والاحتفاظ بغيرها. لكن الآمور بدت مختلفة بالنسبة لتري-إير - تغييرات طفيفة هنا وهناك.

انشغل الجميع بأعمالهم ووجوههم متجهمة، كما لو أن نبأ الزيارة الوشيكة للمبعوث قد شد خيوط الحياة في القرية.

باتفاق ضمني، انضم تري-إير إلى مساعدي الخزافين الآخرين صباح أحد الأيام في المنطقة الواقعة بين الشاطئ والقرية والتي كانت تُستخدم كسوق. جمعوا الأنقاض، ونظفوا المكان، ونصبوا ألواحًا لعرض منتجات أسيادهم. نظر تري-إير خلسةً إلى زملائه؛ كان العديد منهم ينصبون ستة ألواح أو أكثر. أما مين، فلن يحتاج إلا إلى لوحين فقط. وكالعادة، سيكون لديه أقل عدد من القطع لعرضها.

كانت تعليمات مين واضحة. كان على تري-إير أن يُجهز الكشك بحيث يقف مين وظهره للبحر وبضاعته أمامه. وهكذا، سيواجه المبعوث البحر عندما يتفقد عمل مين. ورغم أن مين لم يُفسر السبب، إلا أن تري-إير كان يعلمه. كان ذلك لكي يرى المبعوث كيف تُجسد أواني مين درجات اللون الأخضر والأزرق والرمادي الخفية للأمواج.

دفع تري-إير العربة على الطريق من منزل مين - خطوة بخطوة، أو هكذا بدا الأمر. سار الخزّاف بجانبه، وهو يواصل توجيه التحذيرات والشتائم بلا انقطاع.

انتبه لتلك الحجرة هناك، على اليسار! حافظ على استقامة العربة، أيها الصبي الأحمق. من هنا - الطريق أكثر سلاسة. أيغو! ما بك؟ ألا تستطيع منعها من الاصطدام ولو لثانية واحدة؟ ستفسد عملي، أيها الأحمق!

كانت أواني مين مغطاة بطبقات متراكمة من قش الأرز المضغوط بإحكام؛ فكر تري-إير بمرارة أنه حتى لو ركض بأقصى سرعة، فلن يلحق أي ضرر بالعمل. على الأقل، إنتاج سيده المحدود يعني أن رحلة واحدة فقط ستكون ضرورية.

وأخيراً، وصلوا إلى الكشك المؤقت. لم يسمح مين لتري-إير بتفريغ العربة أو إخراج الأواني. بل أمر بجمع كل قطعة قش على الأرض.

وضعت مين على الرفوف السفلية مزهريتين من البرقوق، وإبريقًا طويلًا مُضلّعًا كالبطيخ، وإناء ماء في وعائه المُطابق. كان هذا الأخير قطعةً مُفضّلةً لدى تري-إير. كان الوعاء مُغطىً بتلاتٍ مُشكّلةٍ مُتداخلةٍ - تُخفي سرًا.

كان تري-إير يراقب معلمه وهو يصنع العشرات من تلك البتلات، ثم أخذ قطعة صغيرة من الطين إلى المنزل في جيبه ليتدرب عليها بنفسه. وبعد عدة أمسيات من العمل، أنتج بتلة واحدة اعتبرها في غاية الروعة كإحدى بتلات مين.

الآن، وهو ينظر إلى الإناء، اختلطت مشاعر الخجل بالفخر في داخله. فقد أخذ بتلة من زهوره في اليوم التالي واستبدلها سرًا بأخرى من بين البتلات التي تجف على رف مين. لم يُكشف أمره. أخجله تسلله، لكن ذلك لم يطغى على الفخر الذي شعر به لمعرفته أن إحدى البتلات الكثيرة على الإناء هي بتلاته. والأفضل من ذلك كله، أنه رغم فحصه القطعة بدقة عشرات المرات، لم يستطع تحديد أيها هي.

بينما كان تري-إير يتفقد الرفوف، خطرت له فكرة. انحنى لمين واستأذنه للحظات، لكن مين لوّح بيده نافيًا، وكأنه لم يسمعه. انطلق تري-إير مسرعًا عبر القرية وصولًا إلى الأحراش خلف منزل مين. وجد ما يحتاجه وعاد مسرعًا، لكن ليس بهذه السرعة هذه المرة، حرصًا على حماية ما يحمله.

وصل إلى ساحة السوق وهو يلهث.

سيدي"، قال وهو يلهث، ومدّ له قربانه - غصنان من البرقوق المزهر. ظنّ" تري-إير أن مين بدا مسرورًا للحظة وجيزة؛ ثم عادت إليه ملامحه العابسة المعتادة وهو يأخذ الغصنين.

همم. نعم، من الأفضل أن نعرض المزهريات بالطريقة التي ينبغي" استخدامها بها." فحصت مين الأغصان، ثم أعادت واحدة إلى تري-إير.

هذا الغصن لا يحتوي على ما يكفي من الأزهار. لماذا لم تحضر المزيد؟"" ثم أدار ظهره لشجرة الأذن ليرتب الغصن الآخر في المزهرية على اليسار.

ابتسم تري-إير. لقد عرف سيده جيداً الآن، وكان رد فعل مين أقرب ما يمكن أن يصل إليه للتعبير عن السرور بعمل تري-إير.

كان كل خزّاف مشغولاً، لكن مجموعة صغيرة خصصت وقتًا لزيارة معرض كانغ. حتى من بعيد، شعر تري-إير باهتمامهم المكبوت، مع أن أحدًا منهم لم يتحدث إلا بكلمة أو كلمتين. اقترب تري-إير وكأنه عابر سبيل، لكن فضوله دفعه إلى التساؤل.

ثم خلت مساحة أمام الكشك عندما ابتعد رجل، فرآهم تري-إير.

الأقحوان.

العشرات منها. على كل إناء - تتفتح من أكواب النبيذ والأباريق والمزهريات والأوعية - تجذب الأزهار البسيطة ذات البتلات الثماني الانتباه وتأسره كما لو أنها لن تفلت منه أبدًا. تختفي العيوب الطفيفة لأواني كانغ في الضوء الذي بدا وكأنه يتوهج من الأزهار البيضاء النقية.

اقترب تري-إيرد. فرأى أن بعض القطع لا تزال تحتفظ بساقها وأوراقها. لكنها لم تعد حمراء قانية. ففي عملية الحرق، تحول الطلاء الأحمر إلى اللون الأسود، وكان تباين الأسود والأبيض مع الأخضر اليشمي جديدًا ومختلفًا وملفتًا للنظر بشكل لا لبس فيه.

وجميلٌ للغاية. حتى عندما أدار تري-إير وجهه متظاهرًا بعدم الاهتمام، كما فعل الخزافون الآخرون، كان قلبه يغرق في بئر لا قعر لها. كانت التقنية مذهلةً لدرجة أن المبعوث لم يسعه إلا أن يختار كانغ لتكليفه بصنع قطعةٍ فنية - كان تري-إير متأكدًا من ذلك.

أمضى أطول وقت عند كشك كانغ، فتخلى الخزافون الآخرون عن كل تظاهر باللامبالاة. وتجمعوا حوله على مسافة محترمة بينما كان المبعوث يتحدث مع كانغ.

شرح كانغ فن التطعيم، وهو نفس الأسلوب المتبع في ترصيع الخشب بالنحاس أو تزيين الأواني المطلية بالورنيش بالصدف. أومأ كيم موافقاً مع الحضور القليل؛ ففن التطعيم شائع في الفنون الأخرى، لكن لم يسبق لأحد منهم أن رآه مستخدماً في صناعة الخزف.

لم يُفصح كانغ عن أي تفاصيل أخرى حول التقنية، ولم يطلب المبعوث أي تفاصيل. اكتفى المبعوث بأخذ وقت طويل في فحص قطع كانغ بدقة. شعر

تري-إير ببصيص أمل عندما رأى أن كيم لم يكتفِ بالنظر إلى زهور الآقحوان، بل تفحّص كل جانب من جوانب العمل. في النهاية، أعاد المزهرية التي كان يحملها، وبقي وجهه خالياً من التعابير، وانتقل إلى الكشك التالي.

بدا لـ"تري-إير" أنه لن يصل أبدًا إلى كشك "مين" - ولكن عندما وصل، كان ذلك سريعًا جدًا.

التقط كيم على الفور الإبريق الذي يشبه البطيخ ونظر إليه باهتمام بالغ. ولأول مرة، تغيرت ملامح وجهه - هل كان ذلك بسبب السرور؟ لم يستطع تري-إير الجزم بذلك.

قالت كيم: "أصبح شكل البطيخ شائعًا جدًا الآن، أراه كثيرًا". بالكاد استطاع تري-إير التنفس. هل يعني هذا أن الرجل لم يكن مهتمًا بالقطعة؟

وتابع قائلاً: "ومع ذلك، فإن هذا العمل لا لبس فيه. كنت أعلم أن هذا الإبريق لا يمكن أن يكون إلا من صنع نفس الرجل الذي صنع ذلك الإناء." وفجأة بدت على وجهه علامات الرضا.

انحنى مين تقديرًا للإطراء، وتعجب تري-إير من هدوء سيده؛ كان عليه هو نفسه أن يكبح جماح فرحته العارمة، خشية أن تجعله يقفز ويصرخ. أخذ كيم وقته في معاينة عمل مين، ثم انتقل أخيرًا إلى المعرض التالي.

على الرغم من سرور المبعوث الظاهر، كان تري-إير يعلم أنه لن يُتخذ أي قرار في ذلك اليوم. سيمضي كيم بضعة أيام أخرى في تشولبو، يزور خلالها الخزافين الذين تثير أعمالهم اهتمامه، وربما يتوقف عند موقع الفرن من حين لآخر. ثم سيبحر إلى كانغجين. ولن يقرر أي الخزافين سيحصل على طلبات إلا بعد زيارته للقرى. وسيُعلن عن اختياراته في الشهر التالي عند عودته.

فقد كانوا يعلمون جيداً أن التكليفات الملكية تُمنح على فترات تبدو عشوائية. وكان الخزافون الذين يُختارون يعملون طالما استمر فنهم في إرضاء البلاط؛ وبالنسبة لمعظمهم، كان التكليف يستمر طوال حياتهم. ولم يُمنح تكليف جديد إلا عند وفاة الخزّاف أو عندما يفقد عمله شعبيته. وكثيراً ما كان البلاط ينتظر حتى وفاة اثنين أو ثلاثة من الخزافين قبل البحث عن بدائل لهم. وقد تمر سنوات عديدة قبل أن تتاح مثل هذه الفرصة مرة أخرى.

كان مين أكثر عصبية من المعتاد بعد زيارة المبعوث. فبدلاً من إصدار أوامر صارمة ومقتضبة، كان يوبخ تري-إير في كل فرصة سانحة. ثم يغرق في صمت كئيب يستمر حتى نوبة صراخه التالية.

عمل تري-إير بجدٍّ أكثر من أي وقت مضى، متوترًا من فرط الترقب. كان مين يصنع مزهريات على شكل البطيخ، وهو الشكل الذي أسعد المبعوث كثيرًا. بدا لتري-إير أن الخزّاف لم يرفض من قبل هذا الكمّ من القطع التي خرجت من دولاب الخزف؛ طوال اليوم، وعلى أنغام شتائم مين، كان يسمع صوت الطين وهو يُصفع باشمئزاز.

وأخيراً، وبعد يومين من الإساءة، طرح مين السؤال الذي كان تري-إير ينتظره.

"إذن،" قالت مين بضيق، "هل ستخبرني بذلك، أم يجب عليّ أن أخمن؟"

كان مين الخزّاف الوحيد الذي لم يزر جناح كانغ ذلك اليوم. وسواء كان ذلك حقيقياً أم متظاهراً، فإن تركيزه على عمله لم يتزعزع قط، لكن تري-إير كان يعلم أنه لا بد أنه لاحظ تجمع الناس، والجو الذي امتلأ بالاهتمام حول كشك كانغ.

"لم يرد مين، فأضاف تري-إير: "القبيحة منها.

ولأول مرة في حياة مين بأكملها، كما خمن تري-إير، ألقى الخزاف رأسه إلى الخلف في ضحكة عالية.

ها!" بصقها، ثم اختنق، ونظف حلقه. نظر إلى تري-إير بنظرةٍ بدت وكأنها تحمل شيئًا من المودة. "قبيحة، كما تقول؟ بالطبع! ماذا عساه أن يفعل كانغ، ذلك الخزّاف ذو الأصابع الخرقاء؟" فجأةً، صفق بيديه مرةً واحدةً وقال بحدة: انطلق إذن. طين أبيض وأحمر، مُصفّى، كما لو كنت ستستخدمه في التزجيج."

قفز تري-إير على قدميه. وقبل أن ينهي مين كلامه، كان ينطلق بسرعة على الطريق والعربة تسير بجنون أمامه.

قبل أيام، كان تري-إير قد حدد أفضل المواقع على طول النهر لاستخراج الطين الملون، والآن توجه مباشرةً إلى أول موقع. حفر وحمل الطين، وسيطر على حماسه بفضل إيقاع العمل. لم يشعر قط بخفة المجرفة كما شعر بها في ذلك اليوم.

على مدى الأيام التالية، رسم مين ما بدا وكأنه مئات التصاميم. ساعدته زوجته برسم شكل البطيخة الأساسي مرارًا وتكرارًا بالفحم على قطع من الخشب. كان مين يضيف أفكاره لتصميم التطعيم، ثم يرفضها بغضب، ويعيد الخشب إليها لتُمسحه وتُعاد استخدامه.

كان تري-إير يفرك الرواسب بين أصابعه، كما يفعل دائمًا. فجأة، شعر بوخز غريب في أطراف أصابعه. لسبب ما، تذكر مرة كان فيها على سفح الجبل، يستريح أثناء تقطيعه للحطب. كان يحدق في خضرة الغابة عندما ظهر غزال فجأة أمامه. كان موجودًا طوال الوقت، وكان ينظر إليه مباشرة. لكنه لم يره إلا في اللحظة الأخيرة.

كان الآمر نفسه الآن، لكن بدلاً من أن يرى بعينيه، كان يتحسس بيديه. كان الطين يبدو جيداً - ناعماً، مرناً، أملساً - لكنه لم يكن جاهزاً بعد.

تجمّد تري-إير، ساكنًا تمامًا باستثناء أطراف أصابعه المغروسة في الطين. ما الذي جعله يفكر هكذا؟ لم يجد عقله الكلمات المناسبة. فقد الطين منذ زمن بعيد أي إحساس بالخشونة، لكنه كان يعلم بطريقة ما. استنزاف آخر - ربما اثنان... كان الأمر أشبه برؤية الغزال فجأة - رؤية واضحة تنبثق من حلم غائم.

وكأنما استيقظ من ذلك الحلم وهو يفرغ الطين مرة أخرى - حلم ستبقى فيه الكلمات التي تصف بالضبط كيف عرف عن الطين سراً إلى الأبد.

استخدم مين أدوات حادة ذات رؤوس متفاوتة الأحجام. كان ينقش الخطوط العريضة للتصميم أولاً بخفة على الطين شبه الجاف باستخدام أدق رأس. ثم كان مين ينحت التصميم تدريجياً. وعلى عكس الخزافين الآخرين الذين كانوا يرسمون نمطاً كاملاً بنقوشهم الأولية، كان مين أحياناً ينحرف عن الرسم التخطيطي؛ إذ بدا عمله أكثر انسيابية في كل من عملية الصنع والنتيجة النهائية.

يتجمع الطلاء في ثنايا التصميم، مما يجعله أغمق قليلاً من باقي السطح. وبمجرد حرق القطعة، يصبح النمط دقيقًا للغاية لدرجة أنه يكاد يكون غير مرئي في بعض أنواع الإضاءة. كان الهدف من عمل مين في الحفر هو إضافة طبقة ثانية من الجمال، متعة أخرى للعين، دون أن ينتقص قيد أنملة من روعة الشكل وجمال اللون اللذين كانا أساس جمال القطعة.

ابتهج تري-إير في صمتٍ بعمل سيده. لم يكن يكاد يصبر لرؤية القطع بعد حرقها. لا شك أن المبعوث سيرى أن عمل مين يجمع بين تكريم التقاليد واستقبال الجديد بطريقة تستحق التكليف.

جاء مين إلى موقع التجفيف بعد بضعة أيام ليتفقد عمل تري-إير. ولأن الكميات المطلوبة كانت قليلة، كان تري-إير يعمل بالطين الأحمر والأبيض في أوعية بدلاً من الحفر. أغمض مين عينيه وهو يلمس بأطراف أصابعه محتويات أحد الأوعية.

بعد لحظة وجيزة، فتح عينيه واستنشق. قال بنبرة استخفاف: "لقد تأخرت بما فيه الكفاية". ثم عاد إلى المنزل حاملاً الوعاءين.

ضمّ تري-إير شفتيه كي لا يبتسم ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى ظهر الخزّاف المغادر. كانت هذه المرة الأولى التي يُحضّر فيها الطين بهذه الدقة والنعومة دون أي توجيه إضافي من مين.

كان مين أشبه برجلٍ يسكنه شيطان. كان يأكل قليلاً، وينام أقل، وسواء عمل في ضوء النهار أو ضوء المصباح، كانت عيناه تلمعان بشراسة. شعر تري-إير أن الهواء في مكان العمل تحت السقف يعجّ بهمسات وأصوات قلق: سيعود المبعوث قريباً جداً.

وأخيرًا، حان اليوم الذي سيُوضع فيه المزهريات في الفرن. وُضعت كل مزهرية بعناية على ثلاث أصداف بحرية مُرتبة على شكل مثلث فوق أحد رفوف الطين، في موضع قريب من منتصف الفرن حيث رأى مين أنها ستحترق على أفضل وجه. ثم رُتّب الخشب بدقة في نمط متقاطع معقد من

طبقات عديدة. أشعلت أغصان الأشجار وإبر الصنوبر بشرارة من حجر الصوان، وعندما اشتعلت النار جيدًا، أغلق باب الفرن.

كان التحكم في حرارة الفرن بالغ الصعوبة. كان لا بد من تسخين الفرن ببطء شديد، فارتفاع درجة الحرارة بسرعة كبيرة في البداية كان يؤدي إلى تشقق الأواني. استغرقت عملية التسخين هذه يومًا كاملًا. ابتداءً من اليوم الثاني، كان يُضاف المزيد من الحطب من حين لآخر عبر فتحات في جدران الفرن. في اليوم الثالث أو الرابع، عندما كان الخزّاف يأمل في الوصول إلى درجة الحرارة المطلوبة، كان يُغلق الفتحات بسدادات طينية. حينها، كانت النار تشتعل بأقصى حرارتها حتى تستهلك كل الهواء داخل الفرن وتبدأ بالانطفاء. واستغرق الفرن يومين أو ثلاثة أيام ليبرد.

بينما كان مين يبقى دائمًا عند الفرن خلال المراحل الأولى الحاسمة من التسخين وإضافة المزيد من الوقود، كان يعود عادةً إلى المنزل بعد إغلاق الفتحات. لكن هذه المرة، بقي في الموقع طوال فترة الحرق. فرش تري-إير أكوامًا من القش على سفح التل، وهناك جلس مين، وقد اسودّت الهالات السوداء تحت عينيه من الإرهاق. كانت أوامره مقتضبة كعادته، لكنها هادئة.

لم يصدق تري-إير ما رآه؛ بل كاد يفضل أن يصرخ مين في وجهه. كان الصمت مريبًا. أحضر تري-إير الطعام من المنزل، لكن مين ترك معظم طعامه دون أن يمسه. كان يرسل تري-إير جيئة وذهابًا بين المنزل والفرن في مهام مختلفة. وفي نهاية كل يوم، كان تري-إير يتسلل على أطراف أصابعه، وكأن أي ضجيج قد يشتت تركيز مين ويفسد عملية الحرق.

لم يكتشف تري-إير قط ما إذا كانت خطواته هي التي أيقظت كرين-مان، أم أن كرين-مان ببساطة لم يكن ينام حتى عودة تري-إير إلى المنزل. ولكن مهما تأخر الوقت، لم يتخلف صديقه قط عن استقباله عند وصوله تحت الجسر. ولم يكن صوته مثقلاً بالنعاس قط.

في اليوم الأخير، طلب مين من تري-إير أن يقضي فترة ما بعد الظهر في المنزل، يرتب الفناء. وكان عليه أن يعود إلى الموقع بعد غروب الشمس. وستُخرج القطع من الفرن في جنح الظلام.

بحلول الوقت الذي كان فيه تري-إير قد نظف مدخل الفرن من الرماد، كان هلالٌ ضبابيٌّ قد ارتفع إلى أعلى قوسه. وقف تري-إير جانبًا وهو يحمل مصباحًا، بينما زحف مين إلى الداخل. استخدم مين ملقطًا خشبيًا خاصًا لحمل المزهريات الساخنة واحدة تلو الأخرى، ووضعها بعناية في العربة، حيث كان تري-إير قد جهز فراشًا من القش. لم يكن ضوء القمر كافيًا ليرى تري-إير بوضوح، ولكن عندما أخرجت آخر مزهرية، زحف تري-إير عائدًا إلى الفرن ليحضر المصباح.

تذبذبت شعلة المصباح الصغير بشكلٍ خادع، ما صعّب فحص المزهريات عن كثب. برزت الزخارف المطعمة بوضوح حتى في ذلك الضوء الخافت. لكن مين تنهد وهز رأسه. سيتعين عليهم الانتظار حتى الصباح لرؤية النتائج.

"لقد تأخرت الليلة يا صديقي"، نادى رجل الكركي وهو يشعل المصباح بينما انزلق تري-إير أسفل المنحدر.

أجاب تري-إير: "أقوم بتفريغ الفرن. أنا آسف لأنك اضطررت إلى الانتظار طويلاً لتناول العشاء."

لوّح رجل الرافعة بعكازه كما لو كان يتجاهل الاعتذار. "أتناول طعاما جيدا جداً هذه الأيام. سمين وكسول، هذا ما أصبحت عليه"، قال مازحاً.

كان من المفترض أن يكون تري-إير منهكًا تمامًا، لكنه كان متوترًا جدًا لدرجة أنه لم يستطع الاستلقاء. بدلاً من ذلك، جلس وراقب صديقه وهو يأكل. وبينما كان الضوء يتلألأ حول العرين الصغير الذي شكله الجسر العلوي وجدران ضفة النهر، شعر تري-إير فجأةً أنه يرى بوضوح الأشياء التي كانت موجودة دائمًا. مثل الغزال بعينيه، أو الطين بأصابعه...

كانت أواني الطبخ القليلة مكدسة على رف صغير صنعه الصخور، مع عيدان الطعام وملعقة واحدة وسكين. رجل الكركي مرتبة في صف أنيق. لُفّت حصيرة نوم تري-إير ووُضعت جانبًا. كانت هناك سلتان نسجهما رجل الكركي. احتوت إحداهما على بعض الفطر البري؛ والأخرى على قطع صغيرة قد تكون مفيدة يومًا ما - قصاصات قماش، وخيوط، وحجر صوان. كان كل شيء مألوفًا جدًا لتري-إير. ولأن رجل الكركي عاش تحت الجسر لسنوات عديدة، فلا بد أنه أصبح شبه غير مرئي له الآن.

كان من لا مأوى لهم يذهبون دائمًا إلى المعبد. كان الرهبان يستقبلونهم ويطعمونهم ويوكلون إليهم أعمالاً. وفي نهاية المطاف، أصبح كثير منهم رهبانًا. كان هذا هو المسار المعتاد لمن واجه مصيبة كما حدث لرجل الكركي، وتساءل تري-إير لماذا لم يطرح هذا السؤال من قبل.

بدا رجل الرافعة مستاءً للحظة، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خجولة. "آه، هناك سبب، ولكنه سبب سخيف، وسيزداد سخافةً عند ذكره."

انتظرت شجرة الأذن.

قال رجل الكركي أخيرًا: "هسه، إنها حماقة أسوأ أن تفعل شيئًا أحمق ثم لا تستطيع الضحك عليه لاحقًا! ثعلب إذن. كان ثعلب هو الذي منعني من الوصول إلى المعبد."

"ثعلب؟"

كانت الثعالب حيوانات مرعبة. لم تكن كبيرة أو شرسة كالدببة والنمور التي تجوب الجبال، لكنها عُرفت بدهائها الشديد. حتى أن بعض الناس اعتقدوا أن الثعالب تمتلك سحرًا شريرًا. قيل إن الثعلب قادر على إغواء الإنسان إلى حتفه، بخداعه ليأتي إلى جحره، حيث يُلقى به بطريقة ما طعامًا لصغاره.

قال رجل الكركي: "لقد تم بيع المنزل. جمعت أغراضي القليلة واستعددت للذهاب إلى المعبد. كان يوماً جميلاً، أتذكر ذلك، وقد استغرقت وقتاً طويلاً في الصعود إلى الجبل."

كان وقت الغسق، وكنت لا أزال على مسافة جيدة. فجأة، ظهر ثعلب" أمامي. توقف هناك، في منتصف الطريق تمامًا، يبتسم ابتسامة عريضة وأسنانه بيضاء لامعة، يلعق شفتيه، وعيناه تتوهجان، وذيله العريض يتمايل ذهابًا وإيابًا ببطء، ذهابًا وإيابًا—"

"كفى!" اتسعت عينا تري-إير من الرعب. "ماذا حدث؟"

التقط رجل الكركي آخر لقمة أرز بعيدانه ووضعها في فمه. قال: "لا شيء. لقد بتُّ أعتقد أن الثعالب لا يمكن أن تكون ذكية كما نظن. كنتُ هناك، على مقربةٍ كافيةٍ للمس أحدها، وساقي مصابةٌ أيضاً - وما زلتُ هنا حتى اليوم."

لكن في تلك الليلة، بالطبع، لم أستطع مواصلة رحلتي. مشيتُ نزولاً من الجبل، وأنا أنظر خلفي طوال الوقت تقريباً. لم يتبعني الثعلب؛ بل اختفى

ء

بالسرعة نفسها التي ظهر بها. في تلك الليلة، بقيتُ تحت الجسر، مع أنك تستطيع أن تتأكد أنني لم أنم.

فردّ تري-إير فراشه واستلقى. لكن بعد لحظات، نهض على ركبتيه وحدق في الظلام خلف الجسر. هل كانت هاتان العينان تتوهجان، أم مجرد انعكاسات لضوء النجوم على النهر؟

وكالعادة، بدا أن رجل الكركي يعلم ما يفعله تري-إير حتى في الظلام. أمر قائلًا: "اذهب إلى النوم!"، بصوتٍ يُشبه صوت مين تقريبًا. "أم أنك تحاول أن تجعلني أشعر بغباءٍ أكبر لزرعي الحماقة فيك؟"

هزّ تري-إير رأسه مبتسماً، واستقر أخيراً.

تفاجأ تري-إير عندما وجد زوجة مين تنتظره في الطريق أمام المنزل صباح اليوم التالي. كانت العربة والمجرفة بجانبها. ورغم أن وجهها كان هادئًا ولطيفًا كعادتها، إلا أن تري-إير رأى في عينيها قلقًا عميقًا لم تستطع حتى ابتسامتها الرقيقة إخفاءه.

قالت بهدوء: "المزيد من الطين يا تري-إير، سادة وملون".

انحنت تري-إير ردًا على ذلك، ثم استدارت عائدةً إلى المنزل. هرول على الطريق بضع خطوات حتى تأكد من دخولها. ثم ترك العربة على جانب الطريق وتسلل إلى خلف المنزل.

أدرك تري-إير على الفور ما حدث، فقد أخبره وجه زوجة مين بذلك. لم تكن غاضبة ولا خائفة، بل بدت حزينة للغاية في صمت. لم يكن ذلك يعني إلا شيئًا واحدًا: مين هو من حطم المزهريات بنفسه.

عدّ تري-إير على أصابعه - خمسة أكوام من الشظايا، جميعها من المزهريات الخمس على شكل بطيخ. قُذفت إحداها بعيدًا لدرجة أن قطعًا منها كانت على بُعد خطوات قليلة من المكان الذي كان يقف فيه يُطلّ من خلف زاوية المنزل. نظر تري-إير حوله بسرعة، ثم تسلل بضع خطوات إلى الفناء وجمع بعض القطع الأكبر حجمًا. وضعها على عجل في جيبه الصغير وانطلق عائدًا إلى العربة.

على ضفة النهر، أنزل تري-إير مقابض العربة ومدّ يده إلى جيبه ليأخذ شظايا الفخار. كان التطعيم متقنًا، والتصميم الزهري دقيقًا وجميلًا حتى على القطع غير المكتملة التي كان يحملها. لكن الطلاء... عبس تري-إير وضيّق عينيه.

غطى اللون البني المزعج طلاء كل قطعة، وبعضها كان ملطخًا ببقع بنية أيضًا. كانت هذه القطع أجزاءً من مزهرية واحدة، لكن تدمير القطع الخمس يعني أن كل مزهرية كانت معيبة. كان مين قد قام بخلط الطلاء بنفسه، لذا لا بد أن الخطأ كان في عملية الحرق - وهي المرحلة التي لم يكن حتى مين نفسه يتحكم بها بشكل كامل.

لم يتبق وقت. حتى الآن، قد يكون قارب المبعوث في الميناء.

بدأ مين العمل على مجموعة أخرى من المزهريات المرصعة. ولكن قبل أن يكتمل التشكيل، رست سفينة المبعوث. أرسل المبعوث كيم رسولاً ليسأل إن كان لدى أي من الخزافين أي شيء جديد لعرضه. لوّح مين للرسول بيده مبتعدًا دون أن ينبس ببنت شفة.

في صباح اليوم التالي، انتشر الخبر في القرية كنسيم البحر المفاجئ: لقد زار المبعوث منزل كانغ. تم اختيار كانغ لمهمة.

في وقت لاحق من ذلك الصباح، قام تري-إير بكنس بقايا المزهريات المحطمة في فناء مين. كان الأمر كما توقع - جميع القطع تحمل آثار طلاء بني معتم. شعر تري-إير بخيبة أمل شديدة؛ وتساءل كم سيكون الأمر أسوأ بالنسبة لمين.

لم يكن الخزّاف قد خرج من المنزل بعدُ ليُعطي تعليماته لليوم، فاتجه تري-إير إلى حديقة الخضراوات. جلس القرفصاء وبدأ في اقتلاع أولى البراعم الضارة التي تُهدد نباتات الخيار التي تُعتبر ثمينة جدًا لزوجة مين.

"بوتر مين! المبعوث هنا. إنه يرغب بالتحدث معك."

أسقط تري-إير العشبة الممزقة التي كان يحملها وتسلل إلى النافذة الجانبية للمنزل. لم يكن يرى إلا القليل، لكنه كان يسمع كل شيء. رحّب مين بيي، والمبعوث كيم، ورجال الموكب الملكي في منزله. جلسوا حول طاولة منخفضة في صمت. سمع تري-إير صوت ارتطام الأواني الفخارية بينما كانت زوجة مين تقدم الشاي.

ثم بدأ المبعوث كيم بالحديث قائلاً: "هذا العمل المطعّم لزميلك. إنه شيء جديد، وسيكون ذا أهمية كبيرة للمحكمة."

كان هناك صمت؛ تخيل تري-إير مين وهو يومئ برأسه موافقاً بأدب.

سأتحدث بصراحة تامة يا بوتر مين. بعض جوانب عمل بوتر كانغ - كيف لي أن أقولها؟ - لا تروق لي كثيراً. لقد كُلّف كانغ بما أسميه مهمة محدودة. سيُنتج أعمالاً للبلاط لمدة عام، لنرى إن كانت تُرضي جلالته.

تردد كيم قليلاً، ثم تابع قائلاً: "كنتُ أفضل بكثير أن أمنحك شرف التكليف الملكي. لكنني سأكون مقصراً في واجباتي لو تجاهلت هذه التقنية الجديدة. يجب عرضها على البلاط الملكي."

سأعود الآن إلى سونغدو. ولكن إذا قمت بإنتاج شيء ما باستخدام" أسلوب التطعيم هذا، وأحضرته لي في سونغدو، فسأضمن لك دراسة متأنية للعمل."

أراد أن يصرخ: "الشظايا!" أروه القطع من كومة القمامة! إنه خبير، سيفهم أمر الحريق.

لكن مين كان يتحدث الآن. "يشرفني المبعوث الملكي بكلماته، ولا أرغب في خذلان أحد. لكنني رجل مسن الآن. لم يكن بوسعي القيام بالرحلة إلى سونغدو. أشكر المبعوث على مراعاته وأرجو منه أن يتفهم تقصيري."

سمع تري-إير حفيف القماش الثقيل الناعم بينما نهض المبعوث واتجه نحو الباب. ثم تحدث المبعوث مرة أخرى.

أتمنى أن تجد حلاً ما يا بوتر مين. سيكون من المحزن للغاية بالنسبة لي أن تكون هذه آخر مرة أرى فيها عملك الرائع. ثم انصرف هو ومرافقوه.

استدار تري-إير وانزلق على الحائط، ثم انحنى ووضع رأسه بين يديه. *يا له من أحمق! فكّر. لا يريد أن يرى المبعوث الطلاء غير المتقن... كبرياؤه يمنعه من الحصول على تكليف ملكي. يا له من أحمق...*

في تلك اللحظة، أتت زوجة مين إلى المنزل حاملةً سلة غسيل. نهض تري-إير مسرعًا لمساعدتها. أومأت برأسها شاكرةً، هادئةً كعادتها، وكأن أحداث الأيام القليلة الماضية المضطربة لم تحدث قط. وقفا على جانبي حبل الغسيل؛ ناولها الملابس وعلقتها. ساعد هدوؤها وإيقاع العمل على تهدئة أعصاب تري-إير المتوترة.

وفجأة جاء الرد إلى تري-إير كما لو كان ينادي من السماء الصافية.

كان تقديم معروفٍ كبيرٍ لمين هو الطريقة الأمثل لشكرها. نجاح زوجها هو ما كانت تتمناه. وقبل أن يتمكن من التفكير في الأمر أكثر، وجد نفسه يتحدث.

وقال: "لدي طلب أود تقديمه لزوجة الخزّاف المحترم".

أجابت قائلة: "من فضلك".

أنا... أنا على علم بالعرض السخي الذي قدمه المبعوث الملكي"، اعترف،" وألقى نظرة سريعة عليها. تجعدّت عيناها في مرح، فعرف أنها لم تمانع أنه تنصّت.

إذا قام السيد بصنع سفينة يعتبرها جديرة باهتمام البلاط، فسيكون من" دواعي شرفي العظيم أن يُسمح لي بأخذها إلى سونغدو نيابة عنه".

كان وجهها مخفياً جزئياً خلف ملاءة الكتان التي كانت تعلقها؛ ثبتتها بإحكام على الحبل قبل أن تجيب.

قالت: "سأسأل المعلم، بشرط واحد. لا، شرطين. الأول هو أن تعود إلى تشولبو بسرعة وبأمان".

انحنت تري-إير في حيرة. لماذا يهمها كيف سافر؟

امتلأت عينا تري-إير بالدموع. انحنى ليلتقط قطعة أخرى من الغسيل. كانت كلمة "أجيما" تعني شيئًا مثل "خالة"؛ وهي كلمة تدل على مودة كبيرة، تُستخدم فقط مع النساء الأكبر سنًا من قريبات العائلة. لم يكن تري-إير قريبًا لأحد، ومع ذلك أرادت زوجة مين أن يناديها "أجيما". لم يكن يعرف حتى إن كان بإمكانه نطق الكلمة.

حسنًا يا صاحب الأذن الشجرية؟" عادت نبرة المزاح اللطيفة إلى صوتها." "هل توافق على شروطي؟"

أومأ تري-إير برأسه. وتحدث من خلف الملابس التي كانت ترفرف على الحبل. قال: "أوافق"، ثم تلعثم. وانخفض صوته إلى همس. "أوافق يا أجيما".

بعد بضعة أيام، انحنى تري-إير تحت الجسر، يراقب بتكاسل رجل الكركي وهو ينحت شريحة أخرى من عود الطعام. قال رجل الكركي دون أن يرفع رأسه: "من المؤسف أن أفكارك ليست مربوطة بخيط. لو كانت كذلك، لكنتُ قد شددتها بقوة الآن لأرى ما يمكنني رؤيته".

قضم تري-إير باطن خده. كان عليه أن يعلم أن إخفاء سر عن كرين-مان، ولو لبضعة أيام، حماقة.

قال تري-إير: "سأذهب في رحلة قريباً". كان ينوي التحدث بحزم، لكن صوته بدا عالياً وخشناً بدلاً من ذلك.

رحلة، أليس كذلك؟" تابع رجل الكركي نحته. "من الجيد أن يرى المرء" العالم إن استطاع. إلى أين ستذهب؟

منذ تلك اللحظة، ندم تري-إير على تهوره في عرضه. لم يغادر تشولبو قط منذ وصوله إليها طفلاً رضيعاً. كيف يُعقل أن يُفكر في القيام بمثل هذه الرحلة؟ ستستغرق أياماً عديدة، عبر جبال غريبة قد لا يكون فيها حتى مسارٌ يُتبع، فضلاً عن طريق. قد يضل طريقه. ومن يدري ما هي المخاطر التي تنتظره؟ لصوص، حيوانات مفترسة، انهيارات صخرية... ما الذي كان يُفكر فيه؟ ولكن، ماذا عساه أن يفعل؟ هل يُخبر مين أنه غيّر رأيه؟

لا. كان الذهاب إلى سونغدو شبه مستحيل، لكن عدم الذهاب كان أسوأ.

"لدى مين بعض الأعمال التي يجب نقلها - لعرضها أمام جمهور في البلاط الملكي."

وضع رجل الكركي سكينه، واتكأ إلى الخلف، ووضع ذراعيه متقاطعتين. "أنا مُشاهدة في البلاط؟ لماذا هذا الكلام المُبهم يا صديقي؟ لماذا لا تقول: 'أنا ذاهب إلى العاصمة - إلى سونغدو'؟"

ابتلع تري-إير ريقه. نهض على قدميه وسار بضع خطوات إلى حافة الماء، ثم التقط حجراً مسطحاً ورماه فقفز على سطح الماء. ارتطم الحجر بالسطح أربع مرات؛ كيف يمكن لحجر أن يكون شبيهاً بالطائر إلى هذا الحد؟

قال تري-إير أخيرًا، وكأنه يختبر كلماته: "سأذهب إلى سونغدو". ونظر إلى رفيقه متوسلًا: "يبدو الأمر بعيدًا جدًا، أن أقول ذلك."

قال رجل الكركي: "لا يا صديقي، إنها لا تبعد سوى القرية المجاورة. مسيرة يوم كامل، على ساقيك الصغيرتين."

عبس تري-إير في حيرة. لكن قبل أن ينطق بكلمة، تابع كرين-مان: "عقلك يعلم أنك ذاهب إلى سونغدو. لكن عليك ألا تخبر جسدك بذلك. عليه أن يفكر في كل تلة، وكل وادٍ، وكل يوم على حدة. وبهذه الطريقة، لن تتعب روحك قبل أن تبدأ حتى في المشي."

"يوماً ما، قرية واحدة. هكذا سترحل يا صديقي."

راقب تري-إير رجل الكركي وهو يحرك الماء بعكازه قليلاً. ثم رفع العكاز المتساقط ووجهه نحو تري-إير.

"انطلق الآن، وأحضر لي بعض القش. ستحتاج إلى بعض الصنادل الإضافية لمثل هذه الرحلة، ومن سيصنعها إن لم أكن أنا؟"

***

وظن أنه فعل ذلك، إذ جمع شجاعته حتى أصبح لديه ما يكفي منها ليتمكن من الوقوف أمام مين بطلب.

"ما الأمر الآن؟" سأل مين. كان تري-إير قد بقي بجوار المنزل في نهاية اليوم، منتظراً أن يرفع مين نظره عن العجلة.

"سيدي." انحنى تري-إير. "لقد مر أكثر من عام على شرف العمل لديك."

"سنة... نعم. وماذا في ذلك؟"

شدّ تري-إير عضلات معدته ليوقف ارتعاشها. "كنت أتساءل... هل سيكون السيد بهذه الطيبة... هل يرى عملي جديراً بالثناء؟"

قال مين بانفعال: "!اطرح سؤالك أو اتركني وشأني يا فتى"

"لو كنت ستعلمني يوماً ما كيفية صنع إناء." اندفعت كلمات تري-إير في نفس واحد.

جلس مين بلا حراك لبرهة طويلة، كافية ليتساءل تري-إير عما إذا كان طلبه غير واضح. وأخيراً، وقف مين ورفع تري-إير رأسه.

"لم يستطع تري-إير كبح جماحه. صرخ قائلاً: "لماذا؟ لماذا لا تعلمني؟
التقط مين الوعاء نصف المتشكل أمامه وضرب به العجلة بقوة شديدة لدرجة أن تري-إير ارتجف.
كرر مين: "لماذا؟" أجاب الخزّاف بصوتٍ منخفضٍ يرتجف من شدة محاولته السيطرة على نفسه: "سأخبرك لماذا. مهنة الخزّاف تنتقل من الأب إلى الابن. كان لي ابنٌ ذات يوم، ابني هيونغ غو. لقد رحل الآن. هو من كنت سأعلّمه. أنتَ..."
رأى تري-إير عيني الخزّاف، وقد امتلأتا بالحزن والغضب. نطق مين بكلماته الأخيرة بصعوبة: "أنت لست ابني".

كان تري-إير يكاد لا يستطيع التنفس في طريقه إلى المنزل. رنّت كلمات مين في أذنيه مرارًا وتكرارًا: يتيم... أب لابنه... ليس ابني. أدرك الآن ما لم يخطر ببال من قبل: جميع المتدربين الآخرين كانوا بالفعل أبناء الخزافين.

ليس ذنبي! أراد تري-إير أن يصرخ. أراد أن يركض عائدًا إلى مين ويصرخ بالكلمات. ليس ذنبي أنكِ فقدتِ ابنك، ليس ذنبي أنني يتيم! لماذا يجب أن يكون اللوم من الأب إلى الابن؟ إذا كان الإناء مصنوعًا جيدًا، فهل يهم من صنعه؟

نادى عليه رجل الكركي بمرح من تحت الجسر، مُبشّرًا إياه باكتمال زوجين من الصنادل. تظاهر تري-إير بالحماس وهو يُجرّبها، لكنه أدرك أن رجل الكركي قد قرأ قلقه على الفور. لم ينطق رجل الكركي بكلمة، بل انتظر فقط.

ربط تري-إير الصنادل معًا بعناية في أزواج. وبينما كان يعلقها في مكان آمن تحت الجسر، قال: "تنتقل مهنة صناعة الفخار من الأب إلى الابن هنا في تشولبو. هل الأمر كذلك في كل مكان؟"

"لم يُعتبر الخزافون فنانين دائمًا، كما تعلمون. في الأيام الخوالي، عندما كان الخزافون يصنعون أشياءً للاستخدام لا للجمال، كانت تُعتبر مهنةً متواضعةً للغاية. لم يكن أحد يرغب في أن يعيش أبناؤه حياةً كهذه."

"عامًا بعد عام، ترك المزيد من الأبناء المهنة حتى لم يعد هناك عدد كافٍ من الخزافين لتلبية احتياجات الشعب! لذلك أصدر الملك في ذلك الوقت مرسومًا يقضي بأن يصبح أبناء الخزافين خزافين بأنفسهم."

هزّ تري-إير رأسه، بل وارتسمت على وجهه ابتسامة قاتمة. تخيّلوا، أبناء يهربون مما كان يتمنى فعله بشدة!

وتابع رجل الكركي: "لا أعرف إن كان هذا لا يزال قانوناً. لكن التقاليد الراسخة قد تكون أقوى من القانون."

أومأ تري-إير برأسه. على الأقل عرف الآن أنه سيكون من غير المجدي ترك تشولبو بحثًا عن سيد آخر.

وقف رجل الكركي واتكأ على عكازه ليمد ساقه السليمة. نظر جانباً إلى تري-إير. قال: "يا صديقي، الريح نفسها التي تغلق باباً غالباً ما تفتح آخر."

وقف تري-إير أيضًا، وذهب ليحضر وعاء العشاء. كان يستغرق بعض الوقت أحيانًا لحل ألغاز كرين-مان، لكنه كان يفضل حلها بنفسه على أن يُخبره أحدهم بمعانيها.

فحص تري-إير الطين في موقع التصريف. لاحظ أن بعض كرات الطين تجف بسرعة كبيرة، فبلل الأقمشة التي تغطيها. ثم استخدم شفرة خشبية لعمل شقوق على سطح الطين في حوض التصريف ليجف بشكل أسرع. كم أصبح العمل أبطأ عندما غابت متعة القيام به!

كان الطين في الحوض يتماسك جيدًا؛ سيصبح جاهزًا للتشكيل إلى كرات قريبًا. أخذ تري-إير حفنة من الطين من زاوية الحوض وعجنها. وبدأ، دون وعي، بتشكيل بتلة. بعد محاولات عديدة لصنع البتلة التي استُخدمت لاحقًا لإبريق

الماء، بدت يداه وكانهما تعملان من تلقاء نفسيهما، تسطح هنا، وتضغط هناك...

توقفت يدا تري-إير في منتصف الحركة. ثم رفع البتلة نصف المتشكلة ببطء إلى مستوى العين وفحصها عن كثب.

- صب،فكّر. هناك أكثر من طريقة لصنع قطعة فخارية. الخراطة، بالطبع - استخدام دولاب الخزف للمساعدة في تشكيل قطعة متناظرة. لكن الحيوانات الصغيرة التي تعلو مبخرات البخور، ومقابض بعض الأواني، وقطارات الماء - لم تُصنع بالخراطة. بل صُنعت يدويًا دون أي مساعدة من دولاب الخزف.

كالعادة، استغرق عمل مين وقتًا أطول بكثير مما توقع، ولم تكتمل القطع إلا مع حلول الخريف. تم حرق اثنتي عشرة نسخة طبق الأصل على ثلاث دفعات منفصلة، وأسفرت عملية الحرق الأخيرة عن زوج من المزهريات الرائعة. تألقت زخارفها الزهرية الدقيقة على خلفية زجاجية مثالية.

بتوجيه من مين، صنع تري-إير جهازًا خاصًا يُحمل على ظهره. وبينما كانا يعملان، تذمر مين من صعوبة نقل المزهريات، وكان يُحدث نفسه أكثر مما يُحدث تري-إير.

خرجت أجيما إلى الفناء ومعها الشاي. قامت بتقديمه لهم بينما استمر مين في تمتمته.

اقترحت أجيما: "وعاء من القش، مثل تلك المستخدمة لحمل الأرز، ولكن ربما بسماكة مضاعفة، مبطن بمزيد من القش والحرير. ستكون المزهريات محمية بشكل جيد."

ارتشف مين رشفة من الشاي، ثم التفت إلى تري-إير. "هل تعرف شخصًا يستطيع صنع مثل هذا الوعاء؟"

ستغادر تري-إير خلال أيام قليلة. تم الانتهاء من صنع وعاء القش. كان متيناً، بجدران مزدوجة وغطاء متصل، وكان حجمه مناسباً تماماً لوضع المزهريات والحشوة بإحكام.

انشغل رجل الكركي بصنعه، وأجرى تعديلات غير مرئية على القش.

خرجت أجيما لترى ما صنعه؛ وتبادلت هي وشجرة الأذن نظرات مرحة من خلف رجل الكركي.

"هل انتهى الأمر؟" سأل أجيما.

توقف رجل الرافعة عن وخزه وقرصه وانحنى لأجيما. "لقد كان شرفًا لي أن أكون جزءًا من هذا المسعى."

تنحّى رجل الرافعة جانبًا بينما رفعت أجيما غطاء الحاوية وأغلقته مجددًا، مثبتةً إياه بكرة القش والحلقة المضفرة. قالت وهي تومئ برأسها في إعجاب هادئ: "عمل رائع."

ثم التفتت إلى رجل الكركي، وعقدت حاجبيها. وقالت: "يا رجل الكركي، لدي طلب منك."

وقف رجل الكركي بفخر على ساقه الواحدة. وأجاب: "لا شيء تطلبه زوجة الخزّاف المحترم سيكون كثيرًا."

انحنت أجيما بدورها. ثم نظرت إلى تري-إير وأشارت إليه بيدها. وقالت: "هذا الرجل - لقد اعتدت على مساعدته. يقوم بمئة مهمة صغيرة من أجلي كل يوم. إنه عون كبير لي في شيخوختي."

قالت: "سأكون ممتنة للغاية يا رجل الكركي، لو استطعتَ المجيء إلى المنزل ومواصلة هذا العمل أثناء غياب تري-إير". ثم خفضت رأسها قليلاً وفركّت يديها كما لو كانت تشعر بالخجل. "لم أستطع أن أدفع لك. كنت آمل أن يكون شكري لك على شكل وجبة طعام..."

شعر تري-إير بموجة هائلة من الارتياح تغمره، لكنه تمالك نفسه في الوقت المناسب ليخفي مشاعره. لم يكن من اللائق إحراج كرين-مان. كان هذا أكبر همومه - كيف سيأكل كرين-مان أثناء غيابه.

بالطبع، كان بإمكان صديقه العودة إلى نبش أكوام القمامة والبحث عن الطعام في الغابة. لكن تري-إير شعر أن عودة كرين-مان إلى هذا النوع من البحث ستكون بمثابة التخلي عنه. ظل قلقًا بشأن هذه المشكلة لأيام، وقدّم أجيما الحل دون أن يطلبه.

قال رجل الكركي: "عرضك للطعام هو قمة اللطف". نظر تري-إير إليه في فزع. كانت هذه عبارة الرفض المهذب. ماذا كان يفعل رجل الكركي؟ تابع قائلاً: "يسعدني أن أزوركم من حين لآخر".

أومأت أجيما برأسها بجدية. انحنى رجل الكركي والتقط عكازه، ثم انحنى مودعًا إياها. قال: "سأراكِ عند الجسر يا ذات الأذن الشجرية"، ثم قفز بعيدًا.

راقب تري-إير حتى اختفى كرين-مان خلف منعطف الطريق، ثم التفت إلى أجيما، وعلامة استفهام بادية في عينيه.

ركل تري-إير حجراً صغيراً عند قدميه. لماذا كان الكبرياء والحماقة رفيقين حميمين في كثير من الأحيان؟

وقف تري-إير تحت الجسر وذراعاه متقاطعتان ووقفته متحدية، وبدأ يتحدث.

قال بنبرة حازمة: "لدي رحلة عليّ القيام بها، عبر طريق مجهول بالنسبة لي. قد تسوء ألف مشكلة. ألا تعتقد أن لدي ما يكفي من الهموم؟"

رفع رجل الكركي رأسه بدهشة. لم يسبق لشجرة الأذنين أن تحدثت إليه بمثل هذا الغضب من قبل.

- وأنت أيضاً - هل تفكر بي يا صديقي؟ لا تقلق. لقد كنت أطعم نفسي لسنوات عديدة قبل أن تعمل لدى مين. أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى. هل تظنني عاجزاً إلى هذا الحد الآن؟"

ليس أنتَ!" صاح تري-إير، وهو يرفرف بذراعيه في إحباط كطائر عملاق." أنا لا أتحدث عنك! إنما أفكر في زوجة مين! إنها عجوز الآن - هل تتخيل ألم" ظهرها المسكين من اقتلاع الأعشاب الضارة؟ وتلك المشيات الطويلة في الجبال، بحثًا عن الفطر أو التوت - كان ينبغي لها أن ترتاح من هذه الأعمال منذ زمن! لا تتلقى أي مساعدة من زوجها على الإطلاق. إنه لا يفكر إلا في عمله!"

توقف تري-إير للحظة، يلهث أنفاسه. استنشق بعمق مرة واحدة، ثم تحدث بصوت أخفض: "هل تريدني أن أقلق عليها في رحلتي يا صديقي؟ لماذا لا تساعدها؟ فبمساعدتك لها ستكون مساعدتي أنا أيضاً."

راقب تري-إير وانتظر. كانت ساق كرين-مان المصابة ترتجف قليلاً. وفي لحظة، اشتد ارتجافها. الآن كان جسد كرين-مان كله يرتجف. تقدم تري-إير بقلق. لم يكن يقصد أن يُبكي صديقه.

لمس تري-إير كتف كرين-مان. لوّح كرين-مان بذراعه نحوه، وهو لا يزال يرتجف. لكنه لم يكن يبكي.

كان يضحك. انفجرت ضحكته المكبوتة التي كان يكتمها، وضحك بشدة حتى أسقط عكازه. التقطه تري-إير ووقف صامتًا، في البداية حائرًا، ثم منزعجًا عندما لم تظهر ضحكة كرين-مان أي علامة على التوقف. إن كانت هناك نكتة، فقد فاتته.

قال رجل الكركي أخيرًا: "آه، يا صديقي"، ثم أخذ نفسًا عميقًا. انطلقت منه ضحكات مكتومة أخيرة وهو يأخذ العكاز من تري-إير ويتكئ عليه ليجلس على الأرض. نظر إلى الأعلى وطعن تري-إير بالعكاز.

"أداء رائع!" هتف قائلاً: "لم أرَ أفضل من هذا قط".

انفرج فم تري-إير للحظة، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه. "ماذا تقصد بـ'أداء'؟" سأل بغضب. "أتشكك في صدقي؟"

أومأ تري-إير على مضض. لقد حُسم الأمر، لأنه كان يعلم أن كرين-مان سيفي بوعده. لقد حقق خطاب تري-إير النتيجة المرجوة، وإن لم يكن ذلك بالطريقة التي خطط لها تمامًا.

وُضِعَت مزهريتان - ليستا المختارتين - في وعاء القش كتجربة. كانتا محشوتين بالحرير ومغلفتين بمزيد من الحرير. وُضِعَ قش الأرز بينهما وحُشِيَ في كل زاوية. شاهد كل من مين وأجيما ورجل الكركي تري-إير وهو يلتقط الوعاء ويرميه بكل قوته على الأرض. ثم دحرجه مرارًا وتكرارًا، بل وركله عدة مرات.

اندفع مين للأمام وفكّ ربطة القش. تحسّس داخلها، ثم أومأ برأسه مرة واحدة بارتياح. كانت المزهريات سليمة. أمر تري-إير قائلاً: "أخرجها من العلبة"، ثم دخل ليحضر الإناءين اللذين اختارهما.

فور مغادرة مين للساحة، تقدم رجل الرافعة لفحص الحاوية. وقد اطمأن هو الآخر؛ فلم يلحق بالقش المنسوج أي ضرر.

بعد إعادة تعبئة الحاوية بحمولتها الثمينة، تم ربطها بالعربة. وتم لفّ حصيرة نوم بإحكام وربطها بأسفل الإطار. وعلى أحد الجانبين، عُلّق زوجان من الصنادل؛ وعلى الجانب الآخر، مغرفة ماء صغيرة من القرع وحقيبة لملئها بكعك الأرز.

كان تري-إير وكرين-مان يقذفان الحجارة تحت الجسر في الغسق. قبل أن يختفي الضوء، مدّ تري-إير يده إلى جيبه الخلفي وأخرج ببطء شيئًا صغيرًا. ثم ناوله لكرين-مان.

قال تري-إير: "هدية. لتذكيرك بوعدك بالذهاب يوميًا إلى منزل مين." لم يُرد أن يقول، لتذكيرك بي.

على مدار الشهر الماضي تقريبًا، أمضى تري-إير وقت فراغه في تشكيل الطين. كان يحتفظ بكرة صغيرة في جيب خصره ويجربها كلما سنحت له الفرصة. بعد فترة، بدأ الطين يتشكل؛ وكأن الطين كان يتحدث إليه، ويخبره بما يريد أن يصبح.

قرد. يشبه قطارة الماء التي صنعها مين ذات مرة. أصغر من كف يد تري-إير، كان القرد يجلس ويداه متشابكتان أمام بطنه المستدير، يبدو راضيًا وممتلئًا. رصّع تري-إير نقطتين صغيرتين للعينين ونقش تفاصيل أخرى على وجهه ويديه وفروه. أثناء التحضيرات للحرق النهائي للفرن، أخفى القرد

الصغير في زاوية وتمكن من استعادته لاحقًا دون أن يلاحظ مين. ولدهشة تري-إير، شارك القرد مع الأواني الأخرى في ذلك الحرق طبقة التزجيج الرمادية الخضراء الرائعة.

على الرغم من ذلك، وجد تري-إير أنه استمتع بعملية النقش. فقد أمضى ساعاتٍ طويلةً في إتقان تفاصيل ملامح القرد، ونقشها بنقاطٍ أدقّ فأدقّ. على الأقل، كانت هذه هي العملية نفسها سواءً على تمثالٍ مصبوبٍ أو إناءٍ فخاريٍّ خزفي. وعندما رأى تري-إير القرد بعد حرقه، شعر بنشوةٍ هادئة.

كان القرد أجوفًا، مثل جميع قطارات الماء التي صنعها مين. ولكن بما أن رجل الكركي لم يكن بحاجة إلى ذلك، لم يضف تري-إير ثقوب الماء. لقد كان مجرد مجسم صغير، أشبه بلعبة.

فحص رجل الكركي الهدية بدقة. قلبها من جميع الجهات ومسح سطحها الأملس. همّ بالكلام، لكن صوته كان أجشًا، فهزّ رأسه نافياً.

ترنّح نحو السلة التي كان يحفظ فيها أغراضه المتفرقة، وأخرج منها خيطًا. وبصمتٍ، لفّ الخيط بمهارة حول القرد، وعقد عقدة محكمة، ثم أدخل الحلقة في حزامه. تأرجح القرد بمرح حول خصره. وأخيرًا نطق.

أجاب تري-إير: "الشرف لي."

نظر رجل الكركي إلى أسفل وعبث بالقرد بين أصابعه. قال: "ليس لديّ هدية لك سوى الكلمات. سأخبرك بهذا: من بين جميع المشاكل التي قد تواجهها في رحلتك، سيكون البشر هم الخطر الأكبر. ولكنهم أيضًا من يجب أن تلجأ إليهم إذا احتجت إلى المساعدة. تذكر هذا يا صديقي، وستسافر بسلام."

بحجر حاد، وضع تري-إير علامة أخرى على إطار الجيغه. كانت هناك ست علامات، واحدة لكل يوم من أيام رحلاته حتى الآن.

كان الأمر كما تنبأ رجل الكركي - قرية واحدة، يوم واحد. كل صباح، كان تري-إير يستيقظ، ويغتسل في جدول، ويأكل إحدى كعكات أرز أجيما. كان يمشي حتى تصبح الشمس في كبد السماء، ثم يجد مكانًا ظليلاً ليستريح ويشرب من القرعة. ومع تحرك الشمس، كان يمشي هو أيضًا. وفي وقت ما بين أواخر العصر وأوائل المساء، كان يصل إلى قرية ويتوقف فيها ليلاً.

كانت عادة الضيافة في الريف للمسافرين مصدر راحة كبيرة له. كان يسير في الشارع الرئيسي للقرية حتى يسأله أحدهم -عادةً طفل- عن صحته ورحلته. كان تري-إير يرافق الطفل إلى منزله، حيث كانت ربة المنزل توافق دائمًا على أن ينام تحت سقف المنزل. وفي معظم الأمسيات، كان يُقدم له وجبة طعام؛ وإلا، كان مين يُعطي تري-إير سلسلة من العملات المعدنية ليشتري بها الطعام عند الحاجة. وكان يحتفظ بها في جيبه الصغير مع حجري الصوان وكرة من الطين.

أعطاه أجيما كيسًا من الطعام. لم يقتصر الأمر على كعكات الأرز الصلبة، وهي أفضل طعام للسفر، بل احتوى أيضًا على مفاجأة: علبة من الجوكام - فاكهة الكاكي المجففة الحلوة. اتسعت عينا تري-إير في دهشة عندما فتح العلبة خلال استراحة في اليوم الأول. كان يعرف ما هي، تلك الأقراص البرتقالية اللزجة؛ فقد أعطاه راهب لطيف بعضًا من الجوكام في خريف أحد الأعوام منذ سنوات عديدة، احتفالاً بميلاد بوذا. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي تذوقها فيها. كان هذا الجوكام أفضل، فكل قطعة شهية تذكره بعناية أجيما.

سارت رحلته بسلاسةٍ بالغةٍ حتى بدأ تري-إير يشعر ببعض الراحة. لم يصبه أو حمولته أي مكروه. كان الطقس جميلاً، والأيام لا تزال حارةً كحرارة الصيف، والليالي باردةً ومنعشة. نام متكئاً على الجيغيه كوسادةٍ صلبةٍ عالية، وكان هذا الشعور بعدم الراحة مُرحباً به تقريباً كتذكيرٍ بواجبه.

لكن اليوم، عاد الخوف إلى قلب تري-إير. كان المشي سهلاً حتى الآن؛ فبعد أن تسلق الجبل الأقرب إلى تشولبو، استوت الأرض لتتحول إلى حقول أرز لا نهاية لها. الآن بدأت الأرض ترتفع مجدداً. كانت القرية التالية على بُعد يومين سيراً على الأقدام، عبر نتوء جبلي. سيقضي تري-إير هذه الليلة في الغابة.

بدأت نسمات الخريف الأولى تتسلل إلى هذه الغابة؛ فغطت أوراق بعض الأشجار حوافها باللون القرمزي أو الذهبي. كان الهواء منعشًا وباردًا وهو يسير في الممر الظليل، وبدأ يشعر بالندم على مخاوفه التي راودته في وقت سابق من اليوم.

كان يأمل أن يعثر على كوخ صياد أو حتى معبد، لكن لم يظهر أي مأوى من هذا القبيل مع بدء غروب الشمس خلف قمم الأشجار. بحث تري-إير عن مكان

مناسب لقضاء الليل. عند جدول ضحل يجري بمرح عبر الطريق، شرب من قرعته الصغيرة. مسح يديه بقميصه، ثم وقف ونظر حوله.

خرج بصعوبة من الجِغِه، وشرع في جمع الحطب لإشعال النار. لم يكن لديه ما يطبخه، لكن النار ستُدفئه وتُبهجه مع حلول الليل. بعد أن جهّز مكانًا، صنع دائرة من حجارة الجدول. ثم بنى هرمًا صغيرًا من الأغصان المتراصة في وسط الدائرة. وفي قاعدة الهرم، وضع طبقة من إبر الصنوبر الجافة.

بحركةٍ متقنة، ضرب تري-إير حجري الصوان معًا. قفزت شراراتٌ إلى إبر الصنوبر. استغرق الأمر عدة محاولات قبل أن تتصاعد خصلةٌ من الدخان مُعلنةً اشتعال النار. هزّ تري-إير رأسه ساخرًا. كان كرين-مان يُشعل النار دائمًا تقريبًا من المحاولة الأولى.

جلس تري-إير متكئًا على إحدى الصخور. أعاد أحجار الصوان إلى الكيس، ثم أكل كعكة أرز منه، وتجعد أنفه قليلًا عند اللقمة الأولى. كان قد أنهى كعكات أرز أجيما في اليوم السابق، وقد نفد الغوكام منذ زمن. هذه الكعكات اشتراها من القرية، ولم يكن لها نفس المذاق أو الملمس.

بعد تناوله الطعام، أخرج تري-إير كرة الطين. بدأ يضغط عليها، ويعجنها، ويلفها - لم يصنع شيئًا بعد، بل كان ينتظر أن يلهمه الطين بفكرة. وسرعان ما تشكل ظهر سلحفاة أملس مقوس. كان تشكيل رأسها أكثر صعوبة، فانحنى تري-إير بجدٍّ على العمل.

"سمع الرجل الكركي يقول في ذهنه: "شيئان لا يملّ المرء من مشاهدتهما أبدًا. النار والماء المتساقط. دائمًا على حالهما، ومع ذلك يتغيران باستمرار.".

مع ازدياد الظلام، بدأت النيران تُلقي بظلال غريبة على جذوع الأشجار من حوله. فجأةً، دوّى صوت طقطقة من النار، فانتفض فزعًا، وشعر بالقلق يعود إليه. حان وقت النوم، قال لنفسه بحزم.

أغمض عينيه، لكن للحظة وجيزة. شعر أن الظلام المحيط به كثيف للغاية. قرر أن مشاهدة النار لفترة أطول ستهدئه. وقد نجحت خطته؛ فبين دفء النار ووميضها المستمر، ثقلت جفونه.

استيقظ تري-إير فجأةً؛ فقد سمع صوتًا لم يكن صوت النار. كان خفيفًا جدًا لدرجة أنه كاد لا يُعتبر صوتًا - همس حركة، اضطراب في هواء الليل الساكن. رفع نفسه على مرفقه، مصغيًا، باحثًا في ضوء القمر الخافت الذي بدأ يكتمل. ربما لم يكن شيئًا.

ببطءٍ شديد، التقط الجيغه. كان ينوي إدخاله في التجويف بين الصخرتين، لكنه لم يستطع فعل ذلك بصمت. احتكت أغصان الجيغه بالجرانيت. تجمد تري-إير، وكتم أنفاسه.

هذا لن يجدي نفعاً. كان عليه أن يعمل بسرعة، وإلا سينقض عليه المخلوق، أيا كان، قبل أن يدرك ذلك. دفع الجيغه في الفتحة، وأدار ظهره لها، وتسلل إلى الداخل. لم يكن هناك متسع كافٍ؛ انحنى، ووضع ذقنه على ركبتيه، وانتظر، وقلبه يكاد ينفجر من صدره.

هل سيبتعد الوحش عن النار؟ كان يحتضر الآن، ولم يبقَ منه سوى جمر متوهج. لعن تري-إير نفسه لعدم وضع المزيد من الحطب بالقرب منه.

كان الصوت يقترب؛ كان يسمع حفيف الأوراق بوضوح على يساره. على الأرض أمامه غصن. لم يكن سوى غصن صغير، لكن تري-إير مدّ يده إليه على

أي حال. نزع عنه الأوراق وأمسكه بإحكام. ربما، فكّر بجنون، يستطيع أن يعمي الوحش وهو يخدشه بمخالبه، محاولاً جره من بين الصخور...

كم من الوقت سيتعين عليه الانتظار؟ مرت اللحظات ببطء شديد. ثم فجأة، ظهر المخلوق أمامه.

كان ثعلباً!

شعر تري-إير بنبضات قلبه تتسارع في حلقه. بدت أفكاره وكأنها تتسابق في سباق محموم. كان عاجزًا أمام الثعلب. كان الثعلب يحدق به، ناظرًا بعمق في عينيه، ساحرًا إياه حتى ينهض ليتبعه إلى جحره. لن يرى كرين-مان أو أجيما مرة أخرى. ستبقى المزهريات مخبأة بين الصخور إلى الأبد. لن يبقى منه شيء سوى كومة من العظام المنهوبة...

أدار الثعلب رأسه. وللحظة، لمع ضوء النار في عينيه. "لا تنظر!" صرخ تري-إير في نفسه. "لا تنظر إلى عينيه - إنها فرصتك الوحيدة!" وأغمض عينيه بشدة ليحجب نظرة الثعلب الشريرة.

لم يكن يعلم كم انتظر. فتح عينيه بعد ما بدا وكأنه دهر. هل سُحر رغم كل محاولاته؟ هل كان في عرين الثعلب، واعياً للحظة أخيرة قبل موت مؤلم ودموي؟

رمش تري-إير ليُصفّي بصره. اختفى الثعلب. كان لا يزال عالقًا في الفتحة بين الصخور، وعضلاته تتألم من التشنج. لم يجرؤ على الحركة؛ ربما كانت مجرد خدعة أخرى من خدع الثعلب. لو خرج من مخبئه، لكان الثعلب هناك، ينتظره. لا، عليه أن يبقى هناك، متيقظاً لأي فخ قد ينصبه هذا المخلوق الشيطاني...

أيقظه صوت صياح الطيور. للحظة، لم يعرف تري-إير أين هو. تحرك قليلاً، فطعنه ركن من هيكل الجيغه بعنف في ظهره.

هل يعقل ذلك؟ لقد غلبه النعاس! لقد نام لفترة طويلة لا يعلمها إلا الله، وكان ثعلباً قريباً منه - وقد نجا!

ضحك تري-إير بصوت عالٍ، وذكّره صوت ضحكته بصديقه. "نخاف مما نجهل، لمجرد أننا نجهله"، فكّر تري-إير، مسرورًا بنفسه. لا بدّ أنه تذكّر هذه الفكرة؛ فرجل الكركي سيرغب في مناقشتها. ثمّ تسلّل خارجًا من الشقّ، عابسًا بأسى من التشنجات الشديدة التي بدت وكأنها تُصيب كلّ عضلة من عضلاته.

تقع مدينة بويو على بُعد مسيرة يوم واحد من القرية المجاورة. ورغم أن تري-إير كان مصمماً على الذهاب مباشرة إلى سونغدو دون تأخير، إلا أن كرين-مان نصحه بالتوقف مرة واحدة - في مكان يُسمى "صخرة الزهور المتساقطة" في بويو.

قال رجل الكركي: "إنها قصة قديمة جداً". واستقر تري-إير على فراشه، يتلوى بحثاً عن الوضعية الأكثر راحة.

كما تعلمون، فقد عانت أرضنا الصغيرة من غزوات عديدة"، هكذا بدأ" رجل الكركي حديثه. "القوى التي تحيط بنا - الصين واليابان والمغول - لم تتركنا ننعم بالسلام لفترة طويلة. هذه قصة إحدى هذه الغزوات."

كان الصينيون من سلالة تانغ هذه المرة، قبل خمسمائة عام. كانت بويو آنذاك عاصمة مملكة بايكتشي، إحدى الممالك الثلاث التي تقاسمت الأرض. اجتاح التانغ، المتحالفون مع مملكة شيلا، من الشمال ودخلوا بويو. ولأن

معظم جيش الملك استُدعي للقتال في الحرب، لم يتبقَّ سوى عدد قليل من الحرس الشخصي لحمايته. تلقى الملك تحذيراً، لكن الوقت كان قد فات.

"احتشدت جميع محظيات الملك ووصيفاته حوله، عازمات على حمايته حتى النهاية. كانت النساء يعلمن جيداً أن التانغ لن يقتلوهن؛ كلا، بل سيتم أسرهن، وربما تعذيبهن. لا يمكن تخيل الرعب الذي انتابهن."

توقف رجل الكركي وارتشف من الشاي. لم يعد تري-إير مستلقيًا؛ بل نهض على ركبتيه من فرط حماسه للقصة. "هل هذا كل شيء؟" سأل.

"اصبر يا قرد، فالأفضل لم يأتِ بعد." حدّق رجل الكركي في النار للحظة. "اندفع جيش تانغ نحو التل. وفجأة، وكأن عقولهم قد توحدت، بدأت النساء بالقفز من أعلى الجرف. فضّلت كل واحدة منهن الموت على أن تصبح أسيرة."

"هل يمكنك رؤيتها يا صديقي؟ النساء يقفزن واحدة تلو الأخرى من الجرف، وفساتينهن الحريرية الجميلة ترفرف في الهواء - وردية، حمراء، خضراء، زرقاء ... في الواقع، مثل الزهور المتساقطة."

"انتصرت قبيلة تانغ في ذلك اليوم، لكن جهود النساء لم تذهب سدى، فقد كنّ منذ ذلك الحين مصدر إلهام لكل من يحتاج إلى الشجاعة. ستبقى ذكراهن خالدة لألف عام، أنا متأكد من ذلك."

مدّ رجل الكركي عكازه ونكز الجمر الخافت للنار. رأى رجل الشجرة شرارات تتطاير وتسقط مجدداً... كزهور صغيرة.

قال رجل الكركي: "اذهب واصعد إلى صخرة الزهور المتساقطة عندما تصل إلى بويو يا صديقي. لكن تذكر أن القفز إلى الموت ليس الطريقة الوحيدة لإظهار الشجاعة الحقيقية."

الآن، كان بويو يرقد في الأمام. سار تري-إير بخطى سريعة على الطريق. كان سيزور الصخرة، وعندما يعود إلى منزله، سيخبر كرين-مان بكل ما رآه.

كانت القرى التي سلكها تري-إير حتى الآن تشبه إلى حد كبير قرية تشولبو. لم تكن قرى ساحلية، وكان يسكنها مزارعون لا خزّافون، لكنها كانت تحمل نفس طابع تشولبو: بيوت صغيرة مسقوفة بالقش متجمعة على طول طريق رئيسي واحد، ومنزل فخم لمسؤول حكومي منفصل عن البقية، ومعبد في مكان ما قريب، وأناس يعملون بجد من أجل لقمة عيشهم. كان الجميع لطفاء ومحترمين، يمارسون شؤونهم كما يفعل هو.

كانت أكشاك المتاجر مفتوحة على جانبي الشارع. كان أصحابها ينادون وهم يعرضون بضائعهم، والزبائن ينادون وهم يساومون للحصول على أفضل الأسعار. لم يرَ تري-إير قط كل هذه البضائع المعروضة، أو يسمع كل هذا الضجيج! كيف يُعقل أن يسمع أهل بويو أنفسهم يفكرون؟

كانت هناك أكشاك تبيع الطعام والشراب الجاهز، وأكشاك أخرى تبيع الخضراوات والأسماك للطهي المنزلي. وكان أحد الأكشاك يبيع الحلويات فقط. كما عُرضت لفائف من الحرير الفاخر، وصواني من الأحجار الكريمة، وألعاب خشبية. وتوفرت جميع أنواع الأدوات المنزلية، من سلال وحصائر نوم من القش وصناديق خشبية.

والفخار. توقف تري-إير فجأة أمام أحد الأكشاك. كان الكشك مليئًا بأكوام صغيرة من الفخار - ليس من نوع السيلادون، بل من نوع الخزف الحجري

البني الداكن المعروف باسم أونجي، والذي يُستخدم لتخزين الطعام.

عرض بائع الأونجي في كشكه جميع أحجام الأواني، من أطباق الصلصة الصغيرة إلى مرطبانات الكيمتشي الكبيرة التي تكفي رجلاً ليختبئ بداخلها. كانت البضائع مكدسة في أبراج شاهقة بدت وكأنها تميل بشكل خطير. لكن تري-إير ابتسم، لعلمه أنها أكثر ثباتًا مما تبدو عليه. لقد تعلم جيدًا كيفية تكديس الأواني ذات الأحجام المتشابهة في برج يمكن أن يلامس السماء إذا لزم الأمر دون أن يسقط أبدًا.

لم يكن على هذا الرف سوى ثلاثة أشياء، ثلاثة أوعية نبيذ متطابقة من السيلادون - مرصعة بأزهار الأقحوان.

لاحظ صاحب المتجر اهتمام تري-إير. فقال: "يا فتى، أخبر سيدك أن هذه الأوعية من أحدث صيحات الموضة. تصميمها مفضل لدى الملك نفسه! لا أجرؤ على إخبارك بالثمن الذي دفعته مقابلها... لا يستطيع اقتناء مثل هذه القطعة إلا زبون ذو ذوق رفيع. هل سيدك كذلك؟"

لم يقصد تري-إير أن يكون وقحاً، لكنه لم يستطع الكلام. اكتفى بانحناء رأسه للرجل وابتعد عن الكشك، وشعر بدوار خفيف.

تصاميم كانغ - التي شوهدت وأعجب بها الناس وتم نسخها وبيعها في شوارع بويو.

بدأ تري-إير يمشي بخطى أسرع، يشق طريقه بين الحشود. كلما أسرع ذلك كان ذلك أفضل لوصول عمل مين إلى سونغدو.

كان الطريق إلى صخرة الزهور المتساقطة شديد الانحدار، فانحنى تري-إير إلى الأمام، وأحيانًا على أربع، وهو يتسلق. وقبل أن يصل إلى القمة بقليل، توقف على جانب الطريق وأزال الجيجه من ظهره. شرب من القرعة وسكب قليلًا من الماء على يديه ليرشه على وجهه المتعرّق.

بعد أن استعاد نشاطه، شعر بأنه مستعد لتركيز انتباهه بالكامل على منظر الصخرة. سار على المنحدر الأخير ممسكًا بالجيجه أمامه بصعوبة، ثم وضعه أرضًا عندما وصل إلى الهضبة الواسعة في الأعلى.

كأنه يقف وحيدًا على قمة العالم. نظر حوله، يمينًا ويسارًا، لا يدري أين ينظر أولًا. أمامه شمالًا، انحدر الجرف بشدة نحو نهر كوم، كشريط فضي عريض يشق طريقه عبر التلال والسهول. خلفه كان الطريق الذي صعده، ومدينة بويو أسفله. كم بدت صغيرة الآن! ظللت أشجار الأذن عينيه من الشمس مع غروبها، متسائلًا إن كانت تلك البقعة على الأفق هي البحر. لا شك أن هذا الجرف كان مرتفعًا بما يكفي لرؤية كل شيء هناك.

"أنت تعرف القصة، أليس كذلك؟" فاجأ الصوت الذي كان بجانبه تري-إير؛ شعر قلبه ينبض بشدة. لم يسمع الرجل قادمًا من الطريق، لكنه كان يقف هناك، يرتدي ملابس رثة وشاحبًا بشكل غريب، كما لو كان مريضًا لفترة طويلة أو لم يخرج أبدًا عندما تشرق الشمس.

"صفّى تري-إير حلقه. "مرحباً سيدي. هل تناولت طعاماً جيداً اليوم؟

"ليس اليوم، وليس منذ بضعة أيام"، جاء الردّ غير المهذب. ابتسم الرجل، لكن تري-إير لم يُعجبه ابتسامته. كان هناك شيءٌ مُزعجٌ وراءها. مع أنه كان يُفضّل البقاء على الصخرة لفترة أطول، إلا أنه قرر النزول بدلًا من البقاء بصحبةٍ غير مرغوبٍ فيها.

استدار تري-إير والتقط طائره الصغير، مستعداً لرفعه على ظهره.

قال الرجل وهو يتقدم للأمام: "دعني أساعدك في ذلك. إنها حمولة أرز رائعة حقاً!"

تراجع تري-إير محاولاً تهدئة فزعه. كانت بضاعته أثمن بكثير من الأرز. "عرضك كريم يا سيدي، لكنني لست بحاجة إلى مساعدة."

انتزع تري-إير الوعاء منه فجأة. تعثر الرجل، مقترباً بشكل خطير من حافة الجرف. زمجر الرجل، بوجهٍ مخيف وقبيح، وتقدم بضع خطوات. أمسك جانبي وعاء القش بكلتا يديه وسحبه.

في اللحظات الأخيرة، تبلورت كل الأمور في ذهن تري-إير. شحوب الرجل... فظاظته... مجيئه إلى تري-إير في ذلك المكان المهجور. كان أحد قطاع الطرق المخيفين، أولئك الذين يختبئون في الريف وعلى أطراف المدن، ولا يظهرون إلا لسرقة المسافرين المرهقين. تشبث تري-إير بإطار الجيجه الخشبي بكل قوته.

شدّ اللص بقوة وجذب، لكنّ هيكل القشّ المتين الذي بناه رجل الكركي صمد. في لحظة ما، أفلت الرجل إحدى يديه وهو يلعن، فقد جرح القشّ راحة يده. كانت يدا رجل الشجرة قد تقوّتا من آثار الفأس والمعول، وذراعاه قويتان من العمل الدؤوب، فلم يتنازل للّص قيد أنملة.

انتبه! دوّت صرخة تحذير في رأس تري-إير. أنت تشدّ بقوة شديدة. إذا أفلت فجأة، ستسقط! تحرّك، تحرّك الآن، حتى لا يكون ظهرك على حافة الجرف!

حدّق تري-إير في وجه اللص؛ فالكراهية ستمنحه مزيدًا من القوة. وبالفعل، أقسم في نفسه أن هذا الرجل الحقير لن يفوز أبدًا بالجيغيه ومحتوياتها الثمينة.

حدّق الرجل به، ووجهه متجهمٌ بابتسامةٍ شريرة. لكنه فجأةً ضحك وأفلت الوعاء. فسقط تري-إير على ظهره – بين ذراعي رجلٍ آخر كان قد تسلل خلفه على الطريق.

لص ثانٍ.

لم يستطع تري-إير فعل شيء أمام اثنين. قام الرجل الثاني بتثبيت ذراعيه للخلف بينما تقدم الأول للأمام وانتزع العصا منه. ركل تري-إير وقاوم. ارتطم رأسه بذقن خاطفه الذي تأوه من الألم؛ مد اللص الآخر يده وصفع وجه تري-إير بعنف.

قال: "توقف عن نضالك أيها عديم القيمة. نحن لا نريد إلا أن نسرقك، ولكن لن نستبعد أن نؤذيك إذا أصبحت مصدر إزعاج كبير."

بينما كان رفيقه يُقيّد تري-إير، فتح اللص الأول بسرعة وعاء القش. رمى جانباً رزمة القش والحرير، وازداد غضبه مع كل حفنة.

صرخ قائلاً: "لا فائدة!"، وهو يمسك فوهة المزهرية بيد واحدة ويلوح بها. انحبس تري-إير من الخوف.

"قال اللص الثاني بهدوء أكبر: "ربما نبيعها

ألا ترى شيئاً؟" صاح رفيقه رداً عليه. "انظر إليه - ألا ترى، لا يمكن أن يكون هذا إلا هدية للقصر! لن يجرؤ أحد على شرائه منا!"

استمر في البحث. ربما هناك شيء آخر."

وضع اللص المزهرية الأولى على الأرض وعاد إلى تفتيش الإناء. وبشتائم مكتومة أخرى، أخرج الإناء الثاني وألقى حفنة أخيرة من القش على الأرض.

صرخ قائلاً: "لا شيء! طوال الطريق إلى أعلى هذا التل - ولا شيء!"

غيّر رفيقه قبضته، فأصبحت إحدى ذراعيه ملتفة حول عنق تري-إير، يخنقه حتى كاد لا يتنفس. وبيده الأخرى، كان يخدش جيب خصر تري-إير بقسوة.

"إيه، إليك ما يُسعدك!" أمسك الكيس بيده الحرة وأفرغ محتوياته على الأرض. تساقطت أحجار الصوان والسلحفاة الطينية الصغيرة، ثم تبعتها سلسلة من العملات المعدنية.

"على أي حال،" تمتم اللص الأول وهو يجمع النقود. ركل قطعة النقود جانباً واتجه نحو الطريق. "هيا، لقد أضعنا وقتاً كافياً هنا."

خذ المال، خذ أي شيء. فقط اترك المزهريات وشأنها...

ضحك اللص الثاني وقال: "انتظر، تعال أمسك هذا الحمار للحظة."

عاد اللص الأول أدراجه. وسأل بفارغ الصبر وهو يمسك تري-إير من ذراعيه من الخلف: "ما الأمر؟"

قليل من المرح، طالما أننا هنا."

التقط اللص إحدى المزهريات، ثم تقدم نحو حافة الجرف وألقى بها في الهواء. نظر من فوق الحافة ووضع يده على أذنه وكأنه يصغي. بعد صمت مطبق، سُمع صوت تحطم الفخار على الصخور في الأسفل.

ضحك اللص الثاني مرة أخرى. وقال بصوت مرح: "واحد آخر!"

لا!" صرخ تري-إير صرخة يائسة لا تُصدق. رفعه اللص الذي كان يمسكه" عن الأرض وألقى به بقوة حتى انقطع نفسه.
ولم يكن بوسع تري-إير سوى أن يشاهد المزهرية الثانية وهي تحلق في الهواء. وبصيحة كلب جريح، وضع يديه على أذنيه كي لا يسمع صوت التحطم.

انقلب تري-إير على جنبه وتقيأ. تقيأ مرارًا وتكرارًا، حتى شعر أن معدته فارغة كروحه. نهض على قدميه وهو يرتجف، ثم انحنى على ركبتيه ويداه على ركبتيه.

رفع رأسه ببطء وحدق في حافة الجرف. فكّر في العودة إلى مين بهذا الخبر، فارتجف جسده كله. لا شيء أسوأ من ذلك. استقام وخطا بضع خطوات نحو الحافة.
كيف سيكون الأمر؟ أن تقفز وتحلق في الهواء كما فعلت أولئك النساء - كأنك تطير، كطائر، بحرية مطلقة. وسيبدو الوقت مختلفًا. ستشعر وكأن تلك اللحظات القليلة ساعات، لا شك...
لكن فجأةً سمع صوت رجل الكركي بوضوح تامٍّ لدرجة أنه استدار مندهشًا. "القفز نحو الموت ليس السبيل الوحيد لإظهار الشجاعة الحقيقية." لم يكن هناك أحدٌ بالطبع. تراجع تري-إير عن الحافة خجلًا. كان يعلم أن هذا صحيح؛ سيتطلب الأمر شجاعةً أكبر بكثير لمواجهة مين. فكّر في وعده لأجيما، وفوق ذلك، كان رجل الكركي ينتظره. كان من واجبه العودة.
أخذ حقيبة خصره وأعاد إليها أحجار الصوان والسلحفاة. ثم فكّ رباط الأشياء القليلة من الجيغه. كان هناك زوج واحد من الصنادل؛ فقد كان قد ارتدى الزوج الاحتياطي الآخر في اليوم السابق. لا تزال حقيبة الطعام تحتوي على بعض كعكات الأرز، لكن تري-إير شعر أنه لن يتمكن من الأكل مرة أخرى.

استدار تري-إير وبدأ يركض. ركض بلا وعي على طول مسار الجبل، غير آبه بالصخور والشجيرات. سقط عدة مرات، لكنه كان ينهض على قدميه في اللحظة التالية، متعثرًا، متعثرًا، منزلقًا في انحدار حاد. عندما وصل أخيرًا إلى النقطة التي استوى فيها المسار، سقط بقوة على وجهه، واختلط التراب بدموعه. جرحته أسنانه في شفته العليا وبصق دمًا. كان الألم مرحبًا به؛ لقد استحق ما هو أسوأ بكثير.
نهض تري-إير ومسح وجهه بطرف سترته، ولم يسمع سوى صوت أنفاسه اللاهثة وخرير النهر القريب. فجأة، لمعت في داخله شرارة أمل أخيرة. المزهرية الثانية... لم يسمع صوت تحطمها. ربما سقطت في الماء، ربما لا تزال سليمة...
شقّ تري-إير طريقه حول قاعدة الجرف نحو النهر. سدت الصخور الطريق إلى شريط رملي ضيق، وخلفه المزيد من الصخور. نظر إلى أعلى الجرف الشاهق وهو يرتفع فوقه، وحاول تخمين مكان سقوط المزهريات. ثم بدأ يتسلق الصخور.

تلك الكتلة الصغيرة على الرمال في الأمام، ليست داكنة كالصخور - هل يمكن أن تكون مزهرية؟ شقّ تري-إير طريقه المتعثر فوق الأرض الصخرية، ونبح على ساقه مرة واحدة لكنه بالكاد شعر بالألم في لهفته.
لا. إنها كومة من الحصى.

ظلّ يتنقل حيئة وذهابا بين الجرف والنهر، صعودا وهبوطا فوق الصخور والرمال. وكاد أن يفقد الأمل عندما عثر على كومة صغيرة من الشظايا.

لم يكن ليلحظها عابر سبيل؛ فقد كانت الإناءة محطمة تماما لدرجة أن شظاياها لم تكن أكبر من الحصى. انحنى تري-إير ولمسها برفق. كانت هذه أول مزهرية، كما تمنى بكل قوته.

وقف ونظر حوله. كان اللص قد ألقى بالمزهريتين من نفس المكان على الجرف؛ لا بد أن تكون الأخرى في مكان قريب. على ضفة النهر، رأى تري-إير شيئًا على الرمال. اقترب منه ببطء، وهو يقول لنفسه إنه ربما يكون كومة أخرى من الحصى أو قطعة من الخشب الطافي...

سقط تري-إير على ركبتيه. *فكر بمرارة: يا له من أحمق! يا له من أحمق أن يأمل في أن يكون قد نجا من مثل هذا السقوط.*

أما المزهرية الثانية، فقد تحطمت إلى قطع أكبر، بعد أن خفف الرمل من وقع سقوطها قليلاً. وكانت أكبر قطعة بحجم كفه. التقط تري-إير هذه القطعة وحركها في الماء ليغسل الرمل عنها.

امتدّ على أحد جوانب الشظية أخدود ضحل، دليل على شكل المزهرية الذي يشبه البطيخ. جزء من زهرة الفاوانيا المطعمة، بساقها وأوراقها المتشابكة على طول الأخدود. ولا يزال الطلاء الزجاجي يلمع صافيًا ونقيًا، لم يمسه العنف الذي تعرض له للتو.

انغرست حافة حادة من الشظية في كف تري-إير. كان الألم صدىً لما حدث - تذكر الآن. كان ذلك عندما ألقى بالشظية من الدفعة الأولى من المزهريات المحطمة في النهر في تشوليو. كم مضى من الزمن على ذلك!

فجأةً، رفع تري-إير رأسه. وقف منتصبًا، وشد كتفيه، وهو لا يزال ممسكًا بقطعة الفخار. وضع الشظية بحرص على حجر مسطح. أخرج السلحفاة الطينية من جيبه وضغطها حتى أصبحت كرة. ثم دحرج الطين بين راحتيه حتى تشكلت على هيئة ثعبان طويل. التقط الشظية مرة أخرى، وضغط على الثعبان من جميع جوانبه حول الحافة الحادة لحمايته.

أخرج تري-إير أحجار الصوان من جيبه الخلفي، خشية أن تخدش الشظية. ربطها في أحد أركان سترته، ثم وضع الشظية المغطاة بالطين في الجيب. أمسك الجيب بيد واحدة بعيدًا عن الصخور، ثم تسلق عائدًا إلى الطريق.

مرت الأيام التالية في غمرة من الرتابة. سار تري-إيرد ماشياً. أشرقت الشمس، فسار. انهمر المطر، فسار. من شروق الشمس حتى غروبها، سار دون توقف، يشرب من القرعة على طول الطريق.

إذا حلّ الظلام قرب قرية، نام خارج أحد البيوت وتقبل ما يُقدّم له من طعام. أما إذا لم تكن هناك قرية، فنام في خندق على جانب الطريق أو تحت شجرة في الغابة. وكان يأكل ربما مرة كل يومين، لا يشعر بالحاجة إلى الطعام، لكنه يعلم أنه بدونه لن يستطيع إتمام رحلته.

لم يتوقف إلا مرة واحدة. شكلت سلسلة جبال منخفضة واديًا واسعًا يشقه نهر جميل. بعد عبور الوادي، توقف تري-إير على قمة في الجانب الآخر ونظر إلى الوراء. كان يعلم أن المنظر لا بد أن يكون أجمل مما بدا له الآن، إذ كان ينظر إليه من خلال ضباب الإرهاق الذي أغشى حواسه وعقله. ربما في طريق العودة سيقدره أكثر.

كانت سونغدو تشبه بويو، لكنها كانت أكثر من ذلك بكثير - عدد سكانها أكبر، ومبانٍ أكثر، وحركة مرور أكثر. وكان القصر يقع في وسط المدينة، شامخاً فوقَ جميع المباني الأخرى.

لم يتوقف تري-إير عن المشي. كل خطوة تقربه من القصر. ذات مرة، تحرك جانبًا ليتجنب امرأة تحمل طفلًا صغيرًا مربوطًا على ظهرها. كان الطفل يبكي بسبب خيبة أمل مجهولة، ولفت صوت بكائه انتباه تري-إير. راقب الأم وهي تواسي طفلها بالقفز لأعلى ولأسفل بإيقاع منتظم وهي تغني له.

للحظة وجيزة، تشتت ذهن تري-إير. لقد كان طفلاً مثله ذات يوم، هنا في سونغدو. عاش هنا مع والديه - أب وأم. ربما كانت أمه تواسيه بالطريقة نفسها عندما كان يبكي. ربما في مكان ما، في أحد المعابد، كان هناك راهب يعرف والديه، ويتذكر إرساله إلى تشولبو.

تنهد تري-إير ونظر إلى الشارع. بدا ضجيج حركة المرور وكأنه يضغط على أذنيه، بل على جسده. كان الناس في كل مكان يهرعون. لا بد أن هناك عشرات المعابد في الجبال المحيطة بسونغدو؛ حتى لو استطاع تري-إير العثور على ذلك الراهب، فمن المرجح أنه لن يتذكره. ربما يكون قد مات الآن.

في وقت متأخر من بعد الظهر، شقّ تري-إير طريقه بثبات عبر الحشود ووجد البوابة الرئيسية للقصر. كان جنديان يقفان حارسين هناك.

تحدث بحزم قائلاً: "لدي موعد مع المبعوث الملكي للأواني الفخارية"، فهذا هو اللقب الكامل للمبعوث كيم. ثم انحنى بانحناءة مهيبة.

نظر الحراس إلى تري-إير، ثم تبادلوا النظرات. استطاع تري-إير قراءة أفكارهم: "هذا الطفل النحيل الهزيل يدّعي أنه مُعيّنٌ ملكي؟" لكنه لم يشعر بأي ارتعاش الآن؛ لم يُفاجئه هدوؤه حتى. كان وجوده متوقعًا. كان له الحق في التواجد هناك.

لا بد أن سلوكه كان دليلاً على ذلك، إذ اختفى أحد الحراس خلف البوابة. غاب لفترة كافية ليتحرك الحارس الآخر بفارغ الصبر، لكن تري-إير لم

.يتزحزح. وقف شامخا، وعيناه مثبتتان على البوابة

عاد الحارس أخيرًا، وتبعه رجل آخر. لم يكن هو المبعوث كيم، لكنه كان يرتدي رداءً مشابهًا، وقبعة مختلفة - نوع من المسؤولين ذوي الرتبة الأدنى من كيم. هو الآخر نظر إلى تري-إير بشك.

"نعم؟" سأل، وقد امتزجت أدبه بنفاد الصبر.

انحنى تري-إير مرة أخرى. "لدي موعد مع المبعوث كيم. أنا هنا نيابة عن بوتر مين من تشولبو."

توقف تري-إير للحظة قبل أن يتكلم. "لا أرغب في إزعاج السيد المحترم، لكنني لن أظهر ما أحضرته لأي شخص سوى المبعوث." أخذ نفسًا عميقًا في صمت ليُهدئ من وطأة القلق الخفيف الذي كان يتصاعد بداخله؛ حتى الآن لم يُجبر على الكذب.

بدا المسؤول منزعجاً. "المبعوث كيم رجل مشغول للغاية. لا أرغب في إزعاجه بينما يمكنه معاينة العمل في الوقت الذي يناسبه."

قال تري-إير: "سأنتظر إذن حتى يحين الوقت المناسب له". ونظر مباشرة إلى الرجل. "لقد طلب المبعوث كيم تحديدًا إحضار أعمال بوتر مين إليه. لا أريد أن يخيب أمله."

كانت رسالته واضحة للمسؤول. قال الرجل بانفعال: "أفهم، لكن من المؤكد أنك لا تتوقع رؤيته دون أن تريه العمل. أين هو؟"

"لن أناقش مكان وجودها مع أي شخص سوى المبعوث."

تمتم المسؤول في نفسه، ثم بدا أنه قد حسم أمره. أومأ برأسه للحراس. انفتح الباب ودخل تري-إير إلى الفناء الملكي.

داخل البوابة تقع مدينة صغيرة أخرى. تصطف المباني على طول الأسوار، وعبر امتداد واسع من الفناء المفتوح، استطاع تري-إير أن يرى أروعها جميعًا - القصر نفسه. كاد تري-إير أن يتعثر وهو يمشي وقد مدّ عنقه ووسع عينيه؛ لم يسبق له أن رأى مبنىً يزيد ارتفاعه عن طابق واحد.

توقف تري-إير عن المشي. لقد سمع عن هذه القرميد. قبل سنوات، قبل زمنه، كان الخزافون في تشولبو منشغلين بمهمة شاقة لصنع هذه القرميد بالذات. ولا يزال بالإمكان العثور على القرميد "المرفوض" حول موقع الفرن. كم تمنى تري-إير لو كان بإمكانه تسلق الجدران بطريقة ما وفحص القرميد عن كثب! حتى من مكانه استطاع تمييز نقوشها البارزة المعقدة.

كان الناس من مختلف المشارب يمارسون أعمالهم اليومية - تجار وجنود ومسؤولون ورهبان كثيرون. على مضض، صرف تري-إير انتباهه عن البلاط ولحق بمرافقه. قاد المسؤول الطريق إلى داخل أسوار القصر. توقف أخيرًا أمام مبنى ملاصق للجدار الخارجي، وأشار إلى تري-إير بالانتظار في الخارج.

بعد لحظات، عاد المسؤول وأشار إلى تري-إير. دخل تري-إير من المدخل إلى غرفة صغيرة، صغيرة لكنها جميلة. كانت أرفف على طول أحد الجدران تحمل أواني من السيلادون؛ استطاع تري-إير أن يرى بنظرة واحدة أن كل قطعة منها من أجود الأنواع. تحرك المسؤول الذي أدخله ليقف على جانب الباب في وضعية مساعد.

جلس المبعوث كيم على طاولة خشبية منخفضة، كان يكتب بسرعة على لفافة، وريشته تتسابق على الورق، تاركةً وراءها أثراً من الأحرف المتقنة. لم يكن تري-إير يستطيع القراءة، لكنه كان يرى براعة كيم في فن الخط.

ء

انحنى تري-إير انحناءة عميقة. وبينما كان ينحني، تلاشت شجاعته فجاة، تاركةً ركبتيه واهنتين كالقصب. "لا بد أنني جائع"، فكّر وهو يستقيم، غير مصدقٍ أنه قد يفكر في شيء كهذا في مثل هذه اللحظة.

"أنت هنا من تشولبو. من بوتر مين"، صرح المبعوث.

"نعم، سيدي الكريم."

"انتظر المبعوث. ثم قال: "حسنًا؟ أين العمل؟

ابتلع تري-إير ريقه بصعوبة. "سيدي، في طريقي إلى هنا، هاجمني لصوص. - لقد دمروا عمل سيدي"

تقدم المساعد غاضباً. "كيف تجرؤ أيها الأحمق الوقح! كيف تجرؤ على طلب مقابلة المبعوث وأنت لا تملك شيئاً لتقدمه له!" ثم مد يده ليمسك بذراع تري-إير ويسحبه خارج الباب.

انتشر الضعف الذي كان يعتري ركبتي تري-إير في جميع أنحاء جسده. كان المساعد محقًا. لقد كان أحمق. أولاً فاشلًا، والآن أحمق...

لكن المبعوث نهض على قدميه وأشار إلى مساعده، الذي تراجع إلى الوراء وقد شعر بالخجل.

أطرق تري-إير رأسه. تمتم قائلًا: "أعتذر بشدة للمبعوث المحترم". ثم أخرج الشظية ببطء من جيبه. أخذ نفسًا عميقًا ونظر إلى الشظية قبل أن يتكلم.

كم كان شكله غريباً، بهيكله الطيني الخشن. لكن التطعيم كان لا يزال دقيقاً وواضحاً، والطلاء لا يزال ناعماً ونقياً. رؤيته منحت تري-إير نبضة أخيرة من الشجاعة.

"إنها مجرد قطعة صغيرة، أيها المبعوث الكريم. ومع ذلك، أعتقد أنها تُظهر كل مهارة سيدي." ثم مدها أمامه بين يديه المقعرتين.

بدا المبعوث متفاجئاً لكنه قبل الهدية. فحصها بعناية. حتى أنه أزال الغلاف الطيني البسيط ونظر إلى حواف الشظية.

ثم جلس المبعوث كيم على طاولته مرة أخرى. اختار إحدى اللفائف التي أمامه، وأخذ فرشاته، وبدأ في الكتابة.

وقف تري-إير مطأطئ الرأس ليخفي دموع الخجل. من الواضح أن المبعوث قد انصرف إلى أمر آخر، لكن كان من قلة الأدب أن يغادر تري-إير قبل أن يُصرَّح له بالانصراف. تساءل إن كان عليه أن يأخذ الشظية التي وضعها المبعوث بعناية على الطاولة. وسط يأسه، شعر تري-إير بالامتنان - امتنانًا لأن المبعوث لم يسخر منه لغباء سفره كل تلك المسافة ومعه شظية واحدة فقط.

سمع بجانبه مساعده يشهق من المفاجأة. كان المبعوث قد أشار للرجل وكان يُريه المخطوطة.

"لم سيدي—" تردد المساعد. "كيف يمكن منح تكليف دون رؤية العمل؟" تستطع كلمات الرجل المهذبة إخفاء الاستياء في صوته.

أجاب المبعوث بصبر: "أتفهم شكوكك، لكنني رأيت عمل هذا الرجل في تشولبو وهنا أيضاً". ثم انحنى والتقط الشظية من على الطاولة.

أترى هذا؟ "إشراق اليشم وصفاء الماء" - هكذا يُقال عن أجود أنواع طلاء» السيلادون. ويُقال هذا عن قطع قليلة جدًا.» توقف للحظة ورفع الشظية أمامه. أقول هذا عن هذه. والتطعيم... رائع.» خفت صوته للحظة وهو ينظر إلى»

الشظية بإعجاب واضح. ثم ناول اللفافة للمساعد. «والآن، اذهب وافعل ما أقوله لك».

انحنى المساعد فجأة وغادر. نظر المبعوث كيم إلى تري-إير. كان هناك لطف في عينيه - مثل عيني كرين-مان، مثل عيني أجيما.

قال: "لقد كتبتُ له أوامرَ بتأمين عودتك إلى تشولبو بحراً. ستذهب أنت وتُسلَّم رسالةً إلى سيدك نيابةً عني. لقد كلّفته بهذه المهمة. أخبرني، هل سبق لك العمل لدى بوتر مين لفترة طويلة؟"

كان تري-إير يترنح من كلمات الرجل، التي نطق بها بصوت هادئ وعادي. وسط ضباب من عدم التصديق والارتباك، سمع نفسه يجيب: "سنة ونصف، سيدي الكريم".

ساعد التركيز على إجابة سؤال المبعوث تري-إير على استعادة رباطة جأشه. "أظن عشرة. ليس أقل، ولكن ليس أكثر بكثير..." نظر إلى الأعلى وتحدث بفخر هادئ. "سيدي يعمل ببطء".

أومأ المبعوث برأسه بوقار قائلاً: "وهذا ما ينبغي فعله". ثم انحنى لتري-إير قائلاً: "إذا كنت بحاجة إلى مأوى هنا في سونغدو، فسيتكفل مساعدي بتوفير السكن والطعام لك حتى موعد إبحار السفينة. إن قدومك محل تقدير كبير".

أراد تري-إير أن يضحك، أن يبكي، أن يعانق المبعوث بشدة ويرقص فرحًا في أرجاء الغرفة. لكنه بدلًا من ذلك، انحنى حتى سقط على الأرض. لم يستطع الكلام، لكنه دعا أن يفهم المبعوث شكره الصامت.

كانت هناك بعض الأشياء التي لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.

كانت الرحلة البحرية أسرع بكثير من الرحلة البرية. بعد اليوم الأول - حين مرض من فرط الحماس ومن اهتزاز سطح السفينة - استمتع تري-إير بمشاهدة البحر بكل تقلباته. وبدت السماء مختلفة، أكبر بكثير مما بدت عليه فوق اليابسة. ومع ذلك، كان شعوره الرئيسي خلال الرحلة هو نفاد الصبر.

وأخيرًا، اقترب القارب من تشولبو، فانحنى تري-إير بشوقٍ فوق جانبه. كم بدت القرية مألوفة، حتى من هذه الزاوية الجديدة الغريبة! فيَّ حماسه، كاد تري-إير أن يقفز في البحر بينما كان القارب لا يزال بعيدًا عن الشاطئ. بدا الجزء الأخير من الرحلة - من المياه العميقة إلى الشاطئ في قارب تجديف صغير - وكأنه يستغرق أطول وقت على الإطلاق.

انطلق تري-إير مسرعاً من شاطئ الإنزال نحو القرية. كان قد قرر الذهاب إلى مين أولاً، لتسليم الرسالة المتعلقة بالمهمة، ثم العودة إلى الجسر لإبلاغ كرين-مان بالخبر.

"أزال صوته من حلقه. "أجيما؟

استدارت بسرعةٍ فائقةٍ حتى خشي للحظةٍ أن تسقط. صاحت قائلةً: "يا تري-إير!"، وقد ارتسمت على وجهها ألف تجعيدةٍ من ابتسامتها. "لقد عدت سالمًا!"

"نعم، أجيما."

كان اليوم بارداً، وقد حلّ الخريف بكامل بهائه، لكن ترحيبه غمر تري-إير كنسيم دافئ. انحنى ولم يستطع كبح ابتسامته. "هل السيد في المنزل؟"

إنه في موقع تصريف المياه—" ترددت كما لو كانت تتخذ قرارًا، ثم" تحدثت مرة أخرى. "هل لديك أخبار له؟"

شعر تري-إير بابتسامته تتسع. "نعم، أجيما." انحنى لها مرة أخرى وركض عبر الفناء باتجاه الجدول.

أبطأ تري-إير خطواته إلى المشي عندما اقترب من الفسحة. وقبض على يديه بقوة ليكبح جماح حماسه.

"سيد بوتر؟" نادى.

كان مين يقلب الطين في حوض التصريف. وضع المجداف جانباً ومسح يديه بقطعة قماش.

"قال ببساطة: "لقد عدت.

انحنى تري-إير. وقال محاولاً ألا يبدو صوته مهماً للغاية: "لقد رأيت المبعوث الملكي. لقد كلفك بمهمة."

جلس تري-إير، خائب الأمل من هدوء مين. كان قلب تري-إير لا يزال يخفق بشدة حتى أنه شعر بنبضه في حلقه. نظر خلسةً إلى وجه الخزّاف. لماذا يبدو مين بهذه الجدية؟ ألم يكن هذا هو الخبر الذي انتظره طوال حياته تقريبًا؟ هزّ تري-إير كتفيه في نفسه؛ كان هذا ما كان عليه أن يتوقعه من الخزّاف.

انحنى مين إلى الأمام، وبدأ يتحدث، ثم توقف وهز رأسه. قال أخيرًا: "أنا آسف يا تري-إير. صديقك من تحت الجسر—"

تجمدت أذن الشجرة. رجل الكركي.
كان على الجسر قبل بضعة أيام. حاول مزارع عبوره بعربة محملة" بحمولة زائدة. كان خشب درابزين الجسر متعفناً. تعرض صديقك للصدم والاهتزاز، وانكسر الدرابزين."
أغمض تري-إير عينيه. أراد من مين أن يتوقف عن الكلام.
انحنى مين إلى الأمام ووضع يده على كتف تري-إير. "كان الماء بارداً جداً... صديقك كان عجوزاً. كانت الصدمة شديدة على قلبه."

كان مين لا يزال يتحدث. "قيل لي إن الأمر كان مفاجئًا للغاية يا تري-إير. لم يعانِ صديقك." مدّ يده إلى جيبه وأخرج شيئًا صغيرًا. "عندما انتشلوه من النهر، كان ممسكًا بهذا في يده."
كان قردًا خزفيًا صغيرًا، لا يزال معلقًا بخيطه الخشن. رفعه مين، لكن تري-إير لم يستطع التحرك لأخذه.
سمع تري-إير صوت أجيما حينها. بدت وكأنها ظهرت فجأة من العدم بجانبه. أم أنها كانت هناك طوال الوقت؟ كانت الأصوات والمشاهد من حوله تتذبذب، كما لو كانت تُرى وتُسمع من خلال الماء. قالت: "تري-إير، ستبقى معنا الليلة."
بينما كانت أفكاره لا تزال خارج جسده، راقب تري-إير نفسه وهو يقف ويسمح لأجيما أن يقوده عائدًا إلى المنزل.
نادى مين خلفهم قائلاً: "إنه عمل رائع يا تري-إير."
وصلت الكلمات إلى تري-إير كما لو كانت قادمة من مسافة بعيدة؛ لم يكن بالإمكان الوثوق بسمعه. ربما كان قد تخيلها فقط.
عبر هو وأجيما العتبة. انبهر الجزء الواعي من عقل تري-إير بهذا المشهد؛ فلم يسبق له أن دخل المنزل من قبل. لمح لمحات من أعمال مين - إبريق شاي فاخر على رف، وجرة منقوشة تحوي أدوات الطبخ. بدت الغرف أنيقة وبسيطة، لكنها لم تكن باردة من فرط الترتيب.

في صباح اليوم التالي، استيقظ تري-إير قبل رنين جرس المعبد بوقت طويل. غادر المنزل الصامت وسار نحو الجدول، حيث وقف يحدق في حركة التيار. ثم انحنى والتقط حجراً مسطحاً، لكنه رماه بإهمال شديد فلم يرتد على الإطلاق. سقط في الماء محدثاً صوتاً عالياً.
ألقى تري-إير حجراً ثانياً، ثم ثالثاً. وفجأة، بدأ يقذف وابلاً من الحجارة في الماء، واحدة تلو الأخرى، بقوة متزايدة، حتى ثار الماء وفور تحت وابل الحجارة. وفي حالة من الهياج العبثي، ألقى تري-إير أوراق الشجر والأغصان وكتل التراب - كل ما استطاع الحصول عليه.
وأخيراً، لم يعد لديه نفس. انحنى وهو يمسك معدته ويلهث، ثم ركع في طين ضفة النهر وشاهد المياه المضطربة وهي تهدأ.
لو لم يتطوع لنقل عمل مين إلى سونغدو، فماذا كان سيحدث حينها؟ ربما كان سيكون هناك؛ كان بإمكانه المساعدة...

تراكمت الذكريات في ذهن تري-إير: إستعداد رجل الكركي لمناقشة الأمور معه ... القصص التي كان يرويها، وأسرار الجبال التي كان يشاركها، وقراءته للعالم من حولهم ... الطريقة التي كان يحب بها النكتة، حتى على حساب نفسه أو ساقه المصابة.

اجتاحت ذكرى أخرى أفكاره، كسمكة تخرج من الماء. همس تري-إير: "أينما كنت في رحلتك يا رجل الكركي، آمل أن تكون بخير".
ثم انهمرت الدموع.

اخترق صوت جرس المعبد شهقات تري-إير المكتومة. نهض مترنحًا، وغسل وجهه في الجدول، وعاد ببطء إلى المنزل. كانت مين تنتظره في الفناء - مع العربة والفأس.
الخشب اليوم، تنهد تري-إير في نفسه. لم يتغير شيء. كل شيء كما كان قبل رحلته.
لا، ليس الأمر نفسه على الإطلاق. لقد رحل رجل الكركي. ارتجفت شجرة الأذن. كيف سيتحمل الشتاء القادم، وحيدًا في حفرة الخضراوات الرطبة؟

عبس تري-إير. لماذا هذا الحجم الكبير؟ صحيح، يمكن تقسيم هذه الجذوع لتناسب فتحات الفرن، لكن هذا يتطلب عملاً إضافياً.
"ما بك يا فتى؟ ألا تفهم أنني كُلفت بمهمة ملكية؟ ألا تدرك حجم العمل الذي سيتطلبه الأمر؟"
أطرق تري-إير رأسه بينما استمر مين في توبيخه. "كيف لي أن أفعل كل هذا بمفردي؟ كيف ستساعدني إن لم تكن لديك عجلة؟ وكيف ستُصنع العجلة إن لم تجلب جذوعًا كبيرة الحجم؟ انطلق!" أشار مين بفارغ الصبر نحو الجبال.
كان تري-إير قد استدار بالفعل للمغادرة عندما استوعب تمامًا مغزى كلمات مين. عجلة خاصة بك؟
كان مين سيعلمه فنّ صناعة الفخار! نظر تري-إير إلى الوراء من فوق كتفه، وعلى وجهه ابتسامة عريضة بلهاء. لكن مين كان قد عاد إلى الداخل بالفعل، وكانت أجيما هي من لوّحت له من الفناء، داعيةً إياه للعودة لأخذ وعاء الغداء. قالت وهي تُناوله إياه: "عد إلى المنزل في الوقت المناسب للعشاء".
كانت تلك مفاجأته الكبرى الثانية في غضون لحظات. قالت أجيما: "المنزل". نظرت إليها تري-إير في حيرة. أومأت أجيما برأسها بجدية.
"يا صاحب الأذن الشجرية، إذا كنت ستعيش معنا من الآن فصاعدًا، فسأطلب منك معروفًا".

"نود أن نمنحك اسمًا جديدًا. هل توافق على أن نناديك هيونغ-بيل من الآن فصاعدًا؟"
انحنى تري-إير برأسه سريعًا، متذكرًا أن ابن مين كان يُدعى هيونغ-غو. اسمٌ من مقطع واحد! كان شرفًا يُمنح للأشقاء. لن يُعرف تري-إير بعد الآن باسم اليتيم. لم يستطع سوى الإيماء برأسه دون أن ينطق بكلمة، لكنه شعر بابتسامة أجيما خلفه وهو يدير ظهره.
"إذن سنراك وقت العشاء يا هيونغ بيل"، نادت بصوت خافت.
بدأ تري-إير يركض على الطريق، والعربة تصطدم أمامه. كان لديه الكثير ليفكر فيه، وشعر بالضياع في دوامة أفكاره المحيرة. رجل الكركي... عجلة خاصة بي... منزل مع أجيما، واسم جديد... مين سيعلمني صناعة الفخار... رجل الكركي...
هزّ تري-إير رأسه بقوة، ككلب ينفض الماء عن نفسه. تحسس في ذهنه صورةً تُهدئه. مزهرية من البرقوق، مع غصن برقوق يُكمل جمالها - عاد حلمه بصنع واحدة، أقوى من أي وقت مضى، لأنه سيكون أكثر من مجرد حلم.

كان يكاد يشعر بالطين تحت يديه، يرتفع على دولاب الخزف - دولابه الخاص! - متخذاً شكلاً في غاية الروعة. كان يصنع نسخاً طبق الأصل، بالعشرات إن لزم الأمر، حتى يصبح الطلاء كاليشم والماء. ثم تُطعم المزهرية بعناية فائقة ودقة متناهية، بتصميم...

كم من الوقت سيستغرق قبل أن يمتلك المهارة الكافية لابتكار تصميم يليق بمثل هذه المزهرية؟ تلة تلو وادٍ... يومًا بيوم، سيسافر عبر السنين حتى يتوصل إلى التصميم المثالي.

انحنى تري-إير إلى الأمام ودفع العربة صعوداً على طريق الجبل.

***

تُعدّ مزهرية من زهر البرقوق من بين أثمن الكنوز الثقافية الكورية العديدة. وهي أروع مثال على الخزف السيلادوني المرصع الذي تم اكتشافه على الإطلاق، ويعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر.

أبرز ما يميز هذه المزهرية هو تطعيمها المتقن. تتكون كل ميدالية من الميداليات الست والأربعين المستديرة من حلقة خارجية بيضاء وحلقة داخلية سوداء. داخل كل دائرة، منحوتة ومطعَّمة بمهارة فائقة، يظهر طائر كركي يحلق برشاقة. تطفو الغيوم بين الميداليات، وتحلق طيور كركي أخرى بينها. أما الطلاء فهو بلون أخضر رمادي رقيق.

تُسمى "مزهرية الألف طائر كركي". صانعها غير معروف.

على مرّ العصور الطويلة من التاريخ الكوري وحتى وقت قريب، كان عدد المشردين في كوريا قليلاً. فقد كانت التقاليد البوذية، ثم الكونفوشيوسية لاحقاً، تُلزم العائلات برعاية أقاربها، حتى البعيدين منهم، الذين يمرّون بظروف صعبة. وكان من لا مأوى لهم يجدون العون في المعابد البوذية. أما سكان الجسور، فكانوا يُعتبرون من مخلوقات "أذن الشجرة" و"رجل الكركي" ظواهر غريبة في زمانهم، ولكن من المؤكد أن مثل هؤلاء الأفراد وُجدوا في كل عصر ومجتمع.

تأثر خزّافو السيلادون الكوريون في عهد مملكة كوريو (918-1392 م) في البداية بأعمال نظرائهم الصينيين. وليس من قبيل المصادفة أن يكون مركزا صناعة الفخار الرئيسيان، بوان - حيث تقع تشولبو - وكانغجين، منطقتين ساحليتين يسهل الوصول منهما إلى الصين عبر البحر الأصفر. لكن سرعان ما تميّز الخزّافون الكوريون بعدة جوانب: الأشكال البسيطة والرشيقة لأوانيهم، ولون التزجيج المميز، والمهارة الفائقة في صناعة القطع المصبوبة، وأخيرًا، ابتكار فن التطعيم. كل قطعة موصوفة في هذا الكتاب موجودة بالفعل في متحف أو مجموعة خاصة في مكان ما من العالم.

اشتهر خزف سيلادون الكوري في عصره، ثم تجاهله العالم لقرون. لكن كان هناك استثناء واحد: لطالما حظي خزف سيلادون الكوري بتقدير كبير في اليابان. فخلال غزواتهم المتكررة لشبه الجزيرة الكورية، دأب اليابانيون على نهب المقابر الملكية - أغنى مصدر لخزف سيلادون الكوري - ونقل كنوزها سرًا إلى اليابان. ورغم أن الكثير من هذه القطع قد أعيد إلى المتاحف الكورية، إلا أن أكبر مجموعات خزف سيلادون الخاصة في العالم اليوم لا تزال في اليابان. بل إن اليابانيين أسروا الخزافين الكوريين ونقلوهم إلى اليابان، حيث كان لهم دور محوري في تطوير صناعة الخزف.

صُوِّتق قانونٌ يُلزم أبناء الخزافين باتباع مهنة آبائهم، وقد سُنّ عام ١٥٤٣، أي بعد أحداث هذه القصة بفترة طويلة. ويبدو أن هذا القانون كان له سابقة، طبّقتها على زمن تري-إير، حيث كانت صناعة الفخار مهنة عائلية متوارثة، إن لم تكن قانونًا.

يُعرف الآن أن سبب البقع البنية ولون الطلاء غير النقي الذي أفسد عمل مين الأولي للمبعوث الملكي هو الأكسدة. ولأن طلاء السيلادون يحتوي على الحديد، فإنه لا يكتسب اللمعة المطلوبة إلا إذا تم حرقه في جو منخفض الأكسجين. دخول كمية كبيرة من الهواء إلى الفرن أثناء عملية الحرق يؤدي إلى "صدأ" الحديد الموجود في الطلاء، مما يتسبب في اللون غير المرغوب فيه. كانت هذه المشكلة بالغة الصعوبة لدرجة أن الكثير من خزف السيلادون الكوري المتبقي يعاني من علامات الأكسدة. وحتى مع توفر هذه المعرفة والمعدات الكهربائية الحديثة، لم يتمكن الخزافون اليوم من إعادة إنتاج اللون الرائع الذي حققه الحرفيون السابقون بدقة.

***

قد يتساءل القراء عن سبب عدم ذكر سيول، العاصمة الحالية لكوريا، والتي كانت تقع مباشرةً على طريق تري-إير. لم تُؤسس سيول إلا عام ١٣٩٢،

أي بعد أكثر من مئتي عام من أحداث هذه القصة. لكن تري-إير يمر بموقع المدينة لاحقًا، ويتوقف لإلقاء نظرة على الوادي في الفصل الثاني عشر.

وبالمثل، لن تُظهر الخريطة الحديثة موقع سونغدو. فقد أعيد تسمية سونغدو إلى كايسونغ، وتقع على ما يُعرف الآن بالجانب الكوري الشمالي من الحدود.

***

قد يصعب تصديق خوف تري-إير غير المنطقي من الثعالب، لكن تشبيهه بالخفافيش في التراث والأدب الغربي قد يكون مفيدًا. فالخفافيش مخلوقات مسالمة في الواقع، ومع ذلك نشأت حولها مجموعة كبيرة من حكايات مصاصي الدماء المرعبة. شعر الكوريون في زمن تري-إير بنفس الشعور تجاه الثعالب، التي اكتسبت بدورها أساطير مماثلة.

***

***

ذكر الكاتب الصيني تاي بينغ لاو جين "عجائب الدنيا الاثنتي عشرة" في عملٍ غير معروفٍ نسبيًا، كُتب خلال عهد أسرة سونغ الصينية، بالتزامن مع عصر مملكة كوريو: "كتب الأكاديمية، وخمور القصر، ومحابر توان، وفاوانيا لو يانغ، وشاي تشين تشو، وأواني كوريو ذات الألوان السرية... كلها الأفضل تحت السماء!". لم يعد العمل نفسه موجودًا، ولكن توجد عدة نسخ منه؛ وقد عثرتُ عليه في كتاب غودفري سانت غومبيرتز "الخزف الكوري". أما عبارة "إشراق اليشم، وصفاء الماء" فهي مستوحاة من عنوان كتالوج مجموعة أتاكا للخزف الكوري في أوساكا، اليابان.

***

يمكن مشاهدة" مزهرية الألف طائر رافعة "في متحف كانسونغ للفنون في سيول كوريا،